تفسير

سورة الكهف

إِعْدَادُ الْفَقِيرِ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ:

هَيْثَم بْنِ مُحَمَّدٍ سَرْحَان

الـمُدَرِّسُ بِمَعْهَدِ الْحَرَمِ بِالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ -سَابِقًا- وَالمُشْرِفُ عَلَى مَعْهَدِ السُّنَّةِ

mahadsunnah.com

غفر الله له ولوالديه ولمن أعانه على إخراج هذا الكتاب

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

[طبعةٌ إلكترونيَّةٌ - غير مُعدَّةٍ للطِّباعة بعدُ]

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٦ م

سُورَةُ الْكَهْفِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن
لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ
أَبَدٗا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ
كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ
إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ
أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ
وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ
رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴿١٠﴾ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴿١١﴾
ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴿١٢﴾ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ
فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴿١٣﴾ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ
مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا
﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ
وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ
وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ
ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ
ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ
فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ
كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم

بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ
وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى
مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ
قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ
وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ
أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا
﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ
وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ
وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ
مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ
رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا
تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن
شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟
يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ
فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا
جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم
مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا
وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ
أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ
وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ

رَّبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن
تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا
حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا
﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ
أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾
ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾
وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ
صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ
فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا
كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ
لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن
دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا
خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ
فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا
وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ
أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن
تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ
وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾ وَمَنۡ
أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن
يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو
ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ
مَوۡئِلٗا ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذۡ قَالَ

مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ
بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ
لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ
إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصٗا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾
قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا
﴿٦٧﴾ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ
أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا
رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ
لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا
حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمۡ
أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن
لَّدُنِّي عُذۡرٗا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا
جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ
سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ
فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ
فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا
فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ
تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا
﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ
وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا
﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا
فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا

تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا
﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ
إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى
فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ
قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا
ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞
وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ
عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ
أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟
وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى
وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ
فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾.

قَالَ العَلَّامَةُ السِّعديّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١-٦] ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾
قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ
مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ

بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ .

الحمد للَّه هو الثَّناء عليه بصفاته، الَّتي هي كلُّها صفات كمالٍ، وبنعمه الظَّاهرة والباطنة، الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، وأجَلُّ نعمه علىٰ الإطلاق إنزالُه الكتاب العظيم علىٰ عبده ورسوله محمَّدٍ ﷺ، فحمدَ نفسَه، وفي ضمنه إرشادُ العباد ليحمدوه علىٰ إرسال الرَّسول إليهم، وإنزال الكتاب عليهم، ثمَّ وصف هذا الكتاب بوصفين مشتملين علىٰ أنَّه الكامل من جميع الوجوه، وهما نفي العِوَج عنه، وإثبات أنَّه قيِّمٌ مستقيمٌ، فنفي العِوَجِ يقتضي أنَّه ليس في أخباره كذبٌ، ولا في أوامره ونواهيه ظلمٌ ولا عبثٌ، وإثبات الاستقامة يقتضي أنَّه لا يخبر ولا يأمر إلَّا بأجلِّ الإخبارات، وهي الأخبار الَّتي تملأ القلوب معرفةً وإيمانًا وعقلًا؛ كالإخبار بأسماء اللَّه وصفاته وأفعاله، ومنها الغيوب المُتقدِّمة والمُتأخِّرة، وأنَّ أوامره ونواهيه تُزكِّي النُّفوس، وتُطهِّرها، وتُنمِّيها، وتُكمِّلها؛ لاشتمالها علىٰ كمال العدل، والقسط، والإخلاص، والعبودية للَّه ربِّ العالمين وحده لا شريك له، وحقيقٌ بكتابٍ مَوصوفٍ بما ذُكِرَ أن يحمد اللَّهُ نفسَه علىٰ إنزاله، وأن يتمدَّح إلىٰ عباده به.

وقوله ﴿لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ﴾ أي: لينذر بهذا القرآن الكريم عقابَه الَّذي عنده، أي: قدَّره وقضاه، علىٰ من خالف أمَره، وهذا يشمل عقاب الدُّنيا وعقاب الآخرة، وهذا أيضًا من نعمه أنْ خوَّف عبادَه، وأنذرهم ما يضرُّهم ويهلكهم؛ كما قال تعالىٰ -لمَّا ذكر في هذا القرآن وصف النَّار- قال: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾[الزُّمر]، فمن رحمته بعباده أنْ قيَّض العقوبات الغليظة علىٰ من خالف أمره، وبيَّنها لهم، وبيَّن لهم الأسباب المُوصلة إليها.

﴿وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾﴾ أي: وأنزل اللَّه علىٰ عبده الكتاب ليُبشِّر المؤمنين به، وبرسله، وكتبه، الَّذين كمُل إيمانهم، فأوجب لهم عمل الصَّالحات، وهي: الأعمال الصَّالحة، من واجبٍ ومُستحبٍّ، الَّتي جمعت الإخلاص والمتابعة، ﴿أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾﴾ وهو الثَّواب الَّذي

رتَّبه اللَّه علىٰ الإيمان والعمل الصَّالح، وأعظمه وأجلُّه الفوز برضا اللَّه، ودخول الجنَّة الَّتي فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشرٍ، وفي وصفه بالحسن دلالةٌ علىٰ أنَّه لا مُكدِّر فيه ولا مُنغِّص بوجهٍ من الوجوه، إذ لو وجد فيه شيءٌ من ذلك لم يكن حُسنه تامًّا.

ومع ذلك فهذا الأجر الحسن ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾ لا يزول عنهم، ولا يزولون عنه؛ بل نعيمهم في كلِّ وقتٍ مُتزايدٌ، وفي ذكر التَّبشير ما يقتضي ذكر الأعمال الموجبة للمُبشَّر به، وهو أنَّ هذا القرآن قد اشتمل علىٰ كلِّ عملٍ صالحٍ، موصلٍ لما تستبشر به النُّفوس، وتفرح به الأرواح.

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾ من اليهود والنَّصارىٰ والمشركين، الَّذين قالوا هذه المقالة الشَّنيعة، فإنَّهم لم يقولوها عن علمٍ و لا يقينٍ، لا علم منهم، ولا علم من آبائهم الَّذين قلَّدوهم واتَّبعوهم؛ بل ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾[النَّجم:٢٣].

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ﴾ أي: عظُمت شناعتُها واشتدَّت عقوبتُها، وأيُّ شناعةٍ أعظم من وصفه بالاتِّخاذ للولد الَّذي يقتضي نقصه، ومشاركة غيره له في خصائص الرُّبوبية والإلهيَّة، والكذب عليه؟! ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾[الأنعام:١٤٤] ولهذا قال هنا: ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ أي: كذبًا محضًا ما فيه من الصِّدق شيءٌ، وتأمَّل كيف أبطل هذا القول بالتَّدريج، والانتقال من شيءٍ إلىٰ أبطلَ منه، فأخبر أوَّلًا أنَّه ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ﴾، والقول علىٰ اللَّه بلا علم لا شكَّ في منعه وبطلانه، ثمَّ أخبر ثانيًا أنَّه قولٌ قبيحٌ شنيعٌ، فقال: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ﴾، ثمَّ ذكر ثالثًا مرتبته من القُبح، وهو: الكذب المُنافي للصِّدق.

ولمَّا كان النَّبيُّ ﷺ حريصًا علىٰ هداية الخلق، ساعيًا في ذلك أعظم السَّعي، فكان ﷺ يفرح ويُسَرُّ بهداية المهتدين، ويحزن ويأسف علىٰ المُكذِّبين الضَّالِّين، شفقةً منه ﷺ عليهم، ورحمةً بهم، أرشده اللَّه أن لا يشغل نفسه بالأسف علىٰ

هؤلاء الَّذين لا يؤمنون بهذا القرآن؛ كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾﴾[الشُّعراء]، وقال: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ [فاطر:٨]، وهنا قال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ أي: مُهلِكُها غمًّا وأسفًا عليهم، وذلك أنَّ أجرك قد وجب علىٰ اللَّه، وهؤلاء لو علم اللَّه فيهم خيرًا لهداهم، ولكنَّه علم أنَّهم لا يصلحون إلَّا للنَّار، فلذلك خذلهم فلم يهتدوا، فإشغالك نفسك غمًّا وأسفًا عليهم ليس فيه فائدةٌ لك.

وفي هذه الآية ونحوها عبرةٌ، فإنَّ المأمور بدعاء الخلق إلىٰ اللَّه عليه التَّبليغ والسعَّي بكلِّ سببٍ يوصل إلىٰ الهداية، وسدِّ طرق الضَّلال والغواية، بغاية ما يمكنه، مع التَّوكُّل علىٰ اللَّه في ذلك، فإن اهتدوا فبها ونعمت، وإلَّا فلا يحزن ولا يأسف، فإنَّ ذلك مُضعِفٌ للنَّفس، هادمٌ للقُوىٰ، ليس فيه فائدةٌ؛ بل يمضي علىٰ فعله الَّذي كُلِّف به وتوجَّه إليه، وما عدا ذلك فهو خارجٌ عن قدرته، وإذا كان النَّبيُّ ﷺ يقول اللَّه له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾[القصص:٥٦]، وموسىٰ عَلَيۡهِ السَّلَامُ يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾[المائدة:٢٥] الآية، فمن عداهم من باب أولىٰ وأحرىٰ، قال تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾[الغاشية].

[٧-٨] ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾.

يخبر تعالىٰ أنَّه جعل جميع ما علىٰ وجه الأرض، من مآكلَ لذيذةٍ، ومشاربَ، ومساكنَ طيِّبةٍ، وأشجارٍ، وأنهارٍ، وزروعٍ، وثمارٍ، ومناظرَ بهيجةٍ، ورياضٍ أنيقةٍ، وأصواتٍ شجيَّةٍ، وصُوَرٍ مليحةٍ، وذهبٍ وفضَّةٍ، وخيلٍ وإبلٍ، ونحوها، الجميع جعله اللَّه زينةً لهذه الدَّار، فتنةً واختبارًا، ﴿لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴿٧﴾﴾ أي: أخلَصَه وأصوَبَه، ومع ذلك سيجعل اللَّه جميع هذه المَذكورات فانيةً مُضمَحِلَّةً، وزائلةً مُنقَضِيةً.

وستعود الأرض صعيدًا جُرُزًا قد ذهبت لذَّاتها، وانقطعت أنهارُها، واندرست

آثارُها، وزال نعيمُها، هذه حقيقة الدُّنيا، قد جلَّاها اللَّه لنا كأنَّها رأي عينٍ، وحذَّرنا من الاغترار بها، ورغَّبنا في دارٍ يدوم نعيمُها، ويسعد مُقيمُها، كلُّ ذلك رحمةً بنا، فاغترَّ بزخرف الدُّنيا وزينتها من نظر إلىٰ ظاهر الدُّنيا دون باطنها، فصحبوا الدُّنيا صحبة البهائم، وتمتَّعوا بها تمتُّع السَّوائم، لا ينظرون في حقِّ ربِّهم، ولا يهتمُّون لمعرفته، بل همُّهم تناول الشَّهوات، من أيِّ وجهٍ حصلت، وعلىٰ أيِّ حالةٍ اتَّفقت، فهؤلاء إذا حضر أحدَهم الموتُ قلق لخراب ذاته، وفوات لذَّاته، لا لما قدَّمت يداه من التَّفريط والسَّيِّئات.

وأمَّا من نظر إلىٰ باطن الدُّنيا، وعلم المقصود منها ومنه، فإنَّه يتناول منها ما يستعين به علىٰ ما خُلق له، وانتهز الفرصة في عمره الشَّريف، فجعل الدُّنيا منزل عبورٍ لا محلَّ حبورٍ، وشقَّة سفرٍ لا منزل إقامةٍ، فبذل جهده في معرفة ربِّه، وتنفيذ أوامره، وإحسان العمل، فهذا بأحسن المنازل عند اللَّه، وهو حقيقٌ منه بكلِّ كرامةٍ ونعيمٍ، وسرورٍ وتكريمٍ، فنظر إلىٰ باطن الدُّنيا حين نظر المُغترُّ إلىٰ ظاهرها، وعمل لآخرته حين عمل البطَّال لدُنياه، فشتَّان ما بين الفريقين، وما أبعد الفرق بين الطَّائفتين.

[٩-١٢] ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾.

وهذا الاستفهام بمعنىٰ النَّفي والنَّهي، أي: لا تظنَّ أنَّ قصَّة أصحاب الكهف وما جرىٰ لهم غريبةٌ علىٰ آيات اللَّه، وبديعةٌ في حكمته، وأنَّه لا نظير لها، ولا مُجانس لها، بل للَّه تعالىٰ من الآيات العجيبة الغريبة ما هو كثيرٌ من جنس آياته في أصحاب الكهف وأعظم منها، فلم يزل اللَّه يُري عباده من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم ما يتبيَّن به الحقُّ من الباطل، والهدىٰ من الضَّلال، وليس المُراد بهذا النَّفي أن تكون قصَّة أصحاب الكهف من العجائب؛ بل هي من آيات اللَّه العجيبة، وإنَّما المُراد أنَّ جنسها كثيرٌ جدًّا، فالوقوف معها وحدها، في مقام

العجب والاستغراب نقصٌ في العلم والعقل؛ بل وظيفة المُؤمن التَّفكُّر بجميع آيات اللَّه الَّتي دعا اللَّه العباد إلىٰ التَّفكير فيها، فإنَّها مفتاح الإيمان، وطريق العلم والإيقان، وأضافهم إلىٰ الكهف الَّذي هو الغار في الجبل، والرَّقيم أي: الكتاب الَّذي قد رُقمت فيه أسماؤهم وقصَّتهم؛ لمُلازمتهم له دهرًا طويلًا.

ثمَّ ذكر قصَّتهم مُجملةً، وفصَّلها بعد ذلك فقال: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ﴾ أي: الشَّباب ﴿إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ يريدون بذلك التَّحصُّن والتَّحرُّز من فتنة قومهم لهم، ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أي تُثبِّتُنا بها وتحفظُنا من الشَّرِّ، وتوفِّقُنا للخير، ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ أي: يسِّر لنا كلَّ سببٍ مُوصل إلىٰ الرُّشد، وأصلح لنا أمر ديننا ودنيانا، فجمعوا بين السَّعي والفرار من الفتنة إلىٰ محلٍّ يمكن الاستخفاء فيه، وبين تضرُّعهم وسؤالهم للَّه تيسير أمورهم، وعدم اتِّكالهم علىٰ أنفسهم وعلىٰ الخلق، فلذلك استجاب اللَّه دعاءهم، وقيَّض لهم ما لم يكن في حسابهم، قال: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ﴾ أي أنمناهم ﴿سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ وهي ثلاثُ مائة سنةٍ وتسعُ سنين، وفي النَّوم المذكور حفظٌ لقلوبهم من الاضطراب والخوف، وحفظٌ لهم من قومهم، وليكون آيةً بيِّنةً.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أي: من نومهم ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ أي: لنعلم أيُّهم أحصىٰ لمقدار مُدَّتهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ الآية، وفي العلم بمقدار لُبثهم ضبطٌ للحساب، ومعرفةٌ لكمال قدرة اللَّه تعالىٰ وحكمته ورحمته، فلو استمرُّوا علىٰ نومهم لم يحصل الاطِّلاع علىٰ شيءٍ من ذلك من قصَّتهم.

[١٣-١٤] ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾.

هذا شروعٌ في تفصيل قصَّتهم، وأنَّ اللَّه يقصُّها علىٰ نبيِّه بالحقِّ والصِّدق، الَّذي ما فيه شكٌّ ولا شُبهةٌ بوجهٍ من الوجوه، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ وهذا من

جموع القلَّة، يدلُّ ذلك علىٰ أنَّهم دون العشرة، ﴿ءَامَنُواْ﴾ باللَّه وحده لا شريك له من دون قومهم، فشكر اللَّه لهم إيمانهم، فزادهم هدًىٰ، أي: بسبب أصل اهتدائهم إلىٰ الإيمان زادهم اللَّه من الهدىٰ، الَّذي هو العلم النَّافع، والعمل الصَّالح؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ﴾[مريم:٧٦].

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي صبَّرناهم وثبَّتناهم، وجعلنا قلوبهم مُطمئنَّةً في تلك الحالة المُزعجة، وهذا من لطفه تعالىٰ بهم وبرِّه، أن وفقهم للإيمان والهدىٰ، والصَّبر والثَّبات، والطُّمأنينة.

﴿إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: الَّذي خلقنا، ورزقنا، ودبَّرنا، وربَّانا، هو خالق السَّماوات والأرض، المُنفرد بخلق هذه المخلوقات العظيمة، لا تلك الأوثان والأصنام الَّتي لا تخلُق ولا ترزق، ولا تملك نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فاستدلُّوا بتوحيد الرُّبوبيَّة علىٰ توحيد الإلهيَّة، ولهذا قالوا: ﴿لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ﴾ أي: من سائر المخلوقات ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا﴾ أي: إن دعونا معه آلهةً بعد ما علمنا أنَّه الرَّبُّ الإله الَّذي لا تجوز ولا تنبغي العبادة إلَّا له ﴿شَطَطًا ١٤﴾ أي: ميلًا عظيمًا عن الحقِّ، وطريقًا بعيدةً عن الصَّواب، فجمعوا بين الإقرار بتوحيد الرُّبوبيَّة وتوحيد الإلهيَّة، والتزام ذلك، وبيان أنَّه الحقُّ وما سواه باطلٌ، وهذا دليلٌ علىٰ كمال معرفتهم بربِّهم، وزيادة الهدىٰ من اللَّه لهم.

[١٥] ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ١٥﴾.

لما ذكروا ما مَنَّ اللَّه به عليهم من الإيمان والهدىٰ، التفتوا إلىٰ ما كان عليه قومهم من اتِّخاذ الآلهة من دون اللَّه، فمقتوهم، وبيَّنوا أنَّهم ليسوا علىٰ يقينٍ من أمرهم؛ بل في غاية الجهل والضلَّال، فقالوا: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍۖ﴾ أي: بحجَّةٍ وبرهانٍ علىٰ ما هم عليه من الباطل، ولا يستطيعون سبيلًا إلىٰ ذلك، وإنَّما ذلك افتراءٌ منهم علىٰ اللَّه وكذبٌ عليه، وهذا أعظم الظُّلم، ولهذا

قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾؟!

[١٦] ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾.

أي: قال بعضهم لبعضٍ: إذ حصل لكم اعتزال قومكم في أجسامكم وأديانكم فلم يبق إلَّا النَّجاء من شرِّهم، والتَّسبُّب بالأسباب المُفضية لذلك؛ لأنَّهم لا سبيل لهم إلىٰ قتالهم، ولا بقائهم بين أظهرهم، وهم علىٰ غير دينهم، ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ أي: انضمُّوا إليه واختفوا فيه، ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ وفيما تقدَّم أخبر أنَّهم دعوه بقولهم ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ فجمعوا بين التَّبرِّي من حولهم وقُوَّتهم، والالتجاء إلىٰ اللَّه في صلاح أمرهم، ودعائه بذلك، وبين الثِّقة باللَّه أنَّه سيفعل ذلك، لا جرم أنَّ اللَّه نشر لهم من رحمته، وهيَّأ لهم من أمرهم مِرفقًا، فحفظ أديانهم وأبدانهم، وجعلهم من آياته علىٰ خلقه، ونشر لهم من الثَّناء الحسن ما هو من رحمته بهم، ويسَّر لهم كلَّ سببٍ، حتَّىٰ المحلَّ الَّذي ناموا فيه، كان علىٰ غاية ما يمكن من الصِّيانة، ولهذا قال:

[١٧-١٨] ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾.

أي: حفظهم اللَّه من الشَّمس فيسَّر لهم غارًا إذا طلعت الشَّمس تميل عنه يمينًا، وعند غروبها تميل عنه شمالًا، فلا ينالهم حرُّها فتفسد أبدانهم بها، ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: من الكهف، أي: مكانٍ مُتَّسعٍ، وذلك ليطرقهم الهواء والنَّسيم، ويزول عنهم الوخم والتَّأذِّي بالمكان الضَّيِّق، خصوصًا مع طول المكث، وذلك من آيات اللَّه الدَّالَّة علىٰ قُدرته، ورحمته بهم، وإجابة دعائهم، وهدايتهم حتَّىٰ

في هذه الأمور، ولهذا قال: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ أي: لا سبيل إلىٰ نيل الهداية إلَّا من اللَّه، فهو الهادي المُرشد لمصالح الدَّارين، ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ أي: لا تجد من يتولَّاه ويُدبِّره علىٰ ما فيه صلاحه، ولا يرشده إلىٰ الخير والفلاح؛ لأنَّ اللَّه قد حكم عليه بالضَّلال، ولا رادَّ لحُكمِه.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ أي: تحسبهم أيُّها النَّاظر إليهم كأنَّهم أيقاظٌ، والحال أنَّهم نِيامٌ، قال المُفسِّرون: وذلك لأنَّ أعينهم مُنفتحةٌ لئلَّا تفسد، فالنَّاظر إليهم يحسبهم أيقاظًا وهم رقودٌ، ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ وهذا أيضًا من حفظه لأبدانهم؛ لأنَّ الأرض من طبيعتها أكل الأجسام المُتَّصلة بها، فكان من قدر اللَّه أن قلَّبهم علىٰ جنوبهم يمينًا وشمالًا بقدر ما لا تُفسد الأرض أجسامهم، واللَّه تعالىٰ قادرٌ علىٰ حفظهم من الأرض من غير تقليبٍ، ولكنَّه تعالىٰ حكيمٌ، أراد أن تجري سنَّته في الكون، ويربط الأسباب بمُسبِّباتها.

﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ أي: الكلب الَّذي كان مع أصحاب الكهف أصابه ما أصابهم من النَّوم وقت حراسته، فكان باسطًا ذراعيه بالوصيد، أي: الباب، أو فنائه، هذا حفظهم من الأرض، وأمَّا حفظهم من الآدميِّين فأخبر أنَّه حماهم بالرُّعب الَّذي نشره اللَّه عليهم، فلو اطَّلع عليهم أحدٌ لامتلأ قلبه رُعبًا، وولَّىٰ منهم فرارًا، وهذا الَّذي أوجب أن يبقوا كلَّ هذه المدَّة الطَّويلة، وهم لم يعثر عليهم أحدٌ، مع قُربهم من المدينة جدًّا، والدَّليل علىٰ قربهم أنَّهم لمَّا استيقظوا أرسلوا أحدهم يشتري لهم طعامًا من المدينة، وبقوا في انتظاره، فدلَّ ذلك علىٰ شدَّة قُربهم منها.

[١٩-٢٠] ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾.

يقول تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ ﴾ أي: من نومهم الطَّويل ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾ أي: ليتباحثوا للوقوف علىٰ الحقيقة من مدَّة لُبثهم.

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ ﴾ وهذا مبنيٌّ علىٰ ظنِّ القائل، وكأنَّهم وقع عندهم اشتباهٌ في طول مُدَّتهم، فلهذا ﴿قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ ﴾ فردُّوا العلم إلىٰ المُحيطِ علمُه بكلِّ شيءٍ جملةً وتفصيلًا، ولعلَّ اللَّه تعالىٰ -بعد ذلك- أطلعهم علىٰ مُدَّة لُبثهم؛ لأنَّه بعثهم ليتساءلوا بينهم، وأخبر أنَّهم تساءلوا، وتكلَّموا بمبلغ ما عندهم، وصار آخر أمرهم الاشتباه، فلابدَّ أن يكون قد أخبرهم يقينًا، علمنا ذلك من حكمته في بعثهم، وأنَّه لا يفعل ذلك عبثًا، ومن رحمته بمن طلب علم الحقيقة في الأمور المَطلوب علمُها، وسعىٰ لذلك ما أمكنه، فإنَّ اللَّه يُوضِّح له ذلك، وبما ذكر فيما بعده من قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ ﴾، فلولا أنَّه حصل العلم بحالهم لم يكونوا دليلًا علىٰ ما ذكر، ثمَّ إنَّهم لمَّا تساءلوا بينهم وجرىٰ منهم ما أخبر اللَّه به، أرسلوا أحدهم بورقهم، أي: بالدَّراهم الَّتي كانت معهم؛ ليشتري لهم طعامًا يأكلونه من المدينة الَّتي خرجوا منها، وأمروه أن يتخيَّر من الطَّعام أزكاه، أي: أطيبه وألذَّه، وأن يتلطَّف في ذهابه وشرائه وإيابه، وأن يختفي في ذلك، ويُخفي حال إخوانه، ولا يُشعِرَنَّ بهم أحدًا، وذكروا المَحذور من اطِّلاع غيرهم عليهم، وظهورهم عليهم، أنَّهم بين أمرين: إمَّا الرَّجم بالحجارة، فيقتلونهم أشنع قِتلةٍ؛ لحنقهم عليهم وعلىٰ دينهم، وإمَّا أن يفتنوهم عن دينهم، ويردُّوهم في ملَّتهم، وفي هذه الحال لا يفلحون أبدًا؛ بل يُحشرون في دينهم ودنياهم وأخراهم، وقد دلَّت هاتان الآيتان علىٰ عدَّة فوائدَ.

- منها: الحثُّ علىٰ العلم، وعلىٰ المباحثة فيه، لكون اللَّه بعثهم لأجل ذلك.
- ومنها: الأدب فيمن اشتبه عليه العلم، أن يرُدَّه إلىٰ عالمه، وأن يقف عند حدِّه.
- ومنها: صحة الوكالة في البيع والشراء، وصحة الشركة في ذلك.
- ومنها: جواز أكل الطَّيِّبات، والمطاعم اللَّذيذة، إذا لم تخرج إلىٰ حدِّ الإسراف

المَنهِيِّ عنه لقوله ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾، وخصوصًا إذا كان الإنسان لا يلائمه إلَّا ذلك، ولعلَّ هذا عمدة كثيرٍ من المُفسِّرين القائلين بأنَّ هؤلاء أولاد ملوكٍ؛ لكونهم أمروه بأزكىٰ الأطعمة الَّتي جرت عادة الأغنياء الكبار بتناولها.

- ومنها: الحثُّ علىٰ التَّحرُّز والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدِّين، واستعمال الكتمان في ذلك علىٰ الإنسان وعلىٰ إخوانه في الدِّين.
- ومنها: شدَّة رغبة هؤلاء الفتية في الدِّين، وفرارهم من كلِّ فتنةٍ في دينهم، وتركهم أوطانهم في اللَّه.
- ومنها: ذكر ما اشتمل عليه الشَّرُّ من المضارِّ والمفاسد الدَّاعية لبغضه وتركه، وأنَّ هذه الطريقة، هي طريقة المؤمنين المُتقدِّمين والمُتأخِّرين؛ لقولهم: ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ۝٢٠﴾.

[٢١] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۝٢١﴾.

يخبر اللَّه تعالىٰ أنَّه أطلع النَّاس علىٰ حال أهل الكهف، وذلك -واللَّه أعلم- بعدما استيقظوا، وبعثوا أحدهم يشتري لهم طعامًا، وأمروه بالاستخفاء والإخفاء، فأراد اللَّه أمرًا فيه صلاحٌ للنَّاس، وزيادة أجرٍ لهم، وهو أنَّ النَّاس رأوا منهم آيةً من آيات اللَّه المُشاهدة بالعيان علىٰ أنَّ وعد اللَّه حقٌّ لا شكَّ فيه ولا مرية ولا بُعد، بعدما كانوا يتنازعون بينهم أمرهم، فمن مُثبتٍ للوعد والجزاء، ومن نافٍ لذلك، فجعل قصَّتهم زيادة بصيرةٍ ويقينٍ للمؤمنين، وحجَّةً علىٰ الجاحدين، وصار لهم أجر هذه القضيَّة، وشهر اللَّه أمرهم، ورفع قدرهم، حتَّىٰ عظَّمهم الَّذين اطَّلعوا عليهم.

و﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾ اللَّه أعلم بحالهم ومآلهم، وقال من غلب علىٰ أمرهم، وهم الَّذين لهم الأمر: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۝٢١﴾ أي: نعبد اللَّه تعالىٰ فيه،

ونتذكَّر به أحوالهم، وما جرىٰ لهم، وهذه الحالة مَحظورةٌ، نهىٰ عنها النَّبيُّ ﷺ، وذمَّ فاعليها، ولا يدلُّ ذكرها هنا علىٰ عدم ذمِّها، فإنَّ السِّياق في شأن تعظيم أهل الكهف والثَّناء عليهم، وأنَّ هؤلاء وصلت بهم الحال إلىٰ أن قالوا: ابنوا عليهم مسجدًا، بعد خوف أهل الكهف الشَّديد من قومهم، وحذرهم من الاطِّلاع عليهم، فوصلت الحال إلىٰ ما ترىٰ.

وفي هذه القصَّة دليلٌ علىٰ أنَّ من فرَّ بدينه من الفتن سلَّمه اللَّه منها، وأنَّ من حرص علىٰ العافية عافاه اللَّه، ومن أوىٰ إلىٰ اللَّه آواه اللَّه، وجعله هدايةً لغيره، ومن تحمَّل الذُّلَّ في سبيله وابتغاء مرضاته كان آخر أمره وعاقبته العزُّ العظيم من حيث لا يحتسب، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾[آل عمران].

[٢٢] ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ٢٢﴾.

يُخبر تعالىٰ عن اختلاف أهل الكتاب في عدَّة أصحاب الكهف، اختلافًا صادرًا عن رجمهم بالغيب، وتَقَوُّلِهم بما لا يعلمون، وأنَّهم فيهم علىٰ ثلاثة أقوالٍ: منهم من يقول: ثلاثةٌ رابعهم كلبُهم، ومنهم من يقول: خمسةٌ سادسهم كلبُهم، وهذان القولان ذكر اللَّه بعدهما أنَّ هذا رجمٌ منهم بالغيب، فدلَّ علىٰ بطلانهما، ومنهم من يقول: سبعةٌ وثامنهم كلبهم، وهذا -واللَّه أعلم- الصَّواب؛ لأنَّ اللَّه أبطل الأوَّلين ولم يبطله، فدلَّ علىٰ صحَّته، وهذا من الاختلاف الَّذي لا فائدة تحته، ولا يحصل بمعرفة عددهم مصلحةٌ للنَّاس دينيَّةٌ ولا دُنيويَّةٌ، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ﴾ وهم الَّذين أصابوا الصَّواب وعلموا إصابتهم.

﴿فَلَا تُمَارِ﴾ أي: تجادل وتُحاجَّ ﴿فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾ أي: مبنيًّا علىٰ العلم واليقين، ويكون أيضًا فيه فائدةٌ، وأمَّا المُماراة المبنيَّة علىٰ الجهل والرَّجم بالغيب، أو الَّتي لا فائدة فيها، إمَّا أن يكون الخصم مُعاندًا، أو تكون المسألة

لا أهميَّة فيها، ولا تحصل فائدةٌ دينيَّةٌ بمعرفتها؛ كعدد أصحاب الكهف ونحو ذلك، فإنَّ في كثرة المُناقشات فيها والبحوث المتسلسلة تضييعًا للزَّمان، وتأثيرًا في مودَّة القلوب بغير فائدةٍ.

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾ أي: في شأن أهل الكهف ﴿مِّنْهُمْ﴾ أي: من أهل الكتاب ﴿أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾، وذلك لأنَّ مبنىٰ كلامهم فيهم علىٰ الرَّجم بالغيب، والظَّنِّ الَّذي لا يغني من الحقِّ شيئًا، ففيها دليلٌ علىٰ المنع من استفتاء من لا يصلح للفتوىٰ، إمَّا لقصوره في الأمر المستفتىٰ فيه، أو لكونه لا يُبالي بما تكلَّم به، وليس عنده ورعٌ يحجِزه، وإذا نُهي عن استفتاء هذا الجنس فنهيه هو عن الفتوىٰ من باب أولىٰ وأحرىٰ.

وفي الآية أيضًا دليلٌ علىٰ أنَّ الشَّخص قد يكون منهيًّا عن استفتائه في شيءٍ دون آخر، فيُستفتىٰ فيما هو أهلٌ له بخلاف غيره؛ لأنَّ اللَّه لم ينه عن استفتائهم مُطلقًا، إنَّما نهىٰ عن استفتائهم في قصَّة أصحاب الكهف وما أشبهها.

[٢٣-٢٤] ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾.

هذا النَّهي كغيره، وإن كان لسببٍ خاصٍّ ومُوجَّهًا للرَّسول ﷺ، فإنَّ الخطاب عامٌّ للمُكلَّفين، فنهىٰ اللَّه أن يقول العبد في الأمور المُستقبلة: ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ﴾ من دون أن يقرنه بمشيئة اللَّه، وذلك لما فيه من المحذور، وهو: الكلام علىٰ الغيب المستقبل، الَّذي لا يدري هل يفعله أم لا؟ وهل تكون أم لا؟ وفيه ردُّ الفعل إلىٰ مشيئة العبد استقلالًا، وذلك محذورٌ محظورٌ؛ لأنَّ المشيئة كلَّها للَّه ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[التَّكوير]، ولما في ذكر مشيئة اللَّه من تيسير الأمر وتسهيله، وحصول البركة فيه، والاستعانة من العبد لربِّه، ولمَّا كان العبد بشرًا لابدَّ أن يسهو فيترك ذكر المشيئة، أمره اللَّه أن يستثني بعد ذلك إذا ذكر؛ ليحصل المطلوب، وينفع المحذور، ويُؤخذ من عموم قوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ الأمر بذكر اللَّه عند النِّسيان، فإنَّه يزيله، ويُذكِّر العبد

ما سها عنه، وكذلك يُؤمر السَّاهي النَّاسي لذكر اللَّه أن يذكر ربَّه، ولا يكوننَّ من الغافلين، ولمَّا كان العبد مُفتقرًا إلىٰ اللَّه في توفيقه للإصابة، وعدم الخطأ في أقواله وأفعاله، أمره اللَّه أن يقول: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ٢٤﴾، فأمره أن يدعو اللَّه ويرجوه، ويثق به أن يهديه لأقرب الطُّرق الموصلة إلىٰ الرُّشد، وحريٌّ بعبدٍ تكون هذه حاله ثمَّ يبذل جهده، ويستفرغ وسعه في طلب الهدىٰ والرُّشد، أن يُوفَّق لذلك، وأن تأتيه المعونة من ربِّه، وأن يُسدِّده في جميع أموره.

[٢٥-٢٦] ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ٢٥ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦﴾.

لمَّا نهاه اللَّه عن استفتاء أهل الكتاب في شأن أهل الكهف؛ لعدم علمهم بذلك، وكان اللَّه عالم الغيب والشَّهادة، العالم بكلِّ شيءٍ، أخبره بمدَّة لبثهم، وأنَّ علم ذلك عنده وحده، فإنَّه من غيب السَّماوات والأرض، وغيبها مُختصٌّ به، فما أخبر به عنها علىٰ ألسنة رسله فهو الحقُّ اليقين، الَّذي لا يُشكُّ فيه، وما لا يطَّلع رسله عليه فإنَّ أحدًا من الخلق لا يعلمه.

وقوله: ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ تعجُّبٌ من كمال سمعه وبصره، وإحاطتهما بالمَسموعات والمُبصَرات، بعد ما أخبر بإحاطة علمه بالمعلومات، ثمَّ أخبر عن انفراده بالولاية العامَّة والخاصَّة، فهو الوليُّ الَّذي يتولَّىٰ تدبير جميع الكون، الوليُّ لعباده المؤمنين، يُخرجهم من الظُّلمات إلىٰ النُّور، ويُيسِّرهم لليُسرىٰ، ويُجنِّبهم العُسرىٰ، ولهذا قال: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ﴾ أي: هو الَّذي تولَّىٰ أصحاب الكهف بلطفه وكرمه، ولم يَكِلْهُم إلىٰ أحدٍ من الخلق، ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦﴾ وهذا يشمل الحكم الكونيَّ القدريَّ، والحكم الشَّرعيَّ الدِّينيَّ، فإنَّه الحاكم في خلقه قضاءً وقدرًا، وخلقًا وتدبيرًا، والحاكم فيهم بأمره ونهيه، وثوابه وعقابه.

ولمَّا أخبر أنَّه تعالىٰ له غيب السَّماوات والأرض، فليس لمخلوقٍ إليها طريقٌ إلَّا عن الطَّريق الَّتي يُخبر بها عباده، وكان هذا القرآن قد اشتمل علىٰ كثيرٍ من الغيوب، أمر تعالىٰ بالإقبال عليه فقال:

[٢٧] ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾﴾.

التلاوة: هي الاتِّباع، أي: اتَّبع ما أوحىٰ اللـه إليك بمعرفة معانيه وفهمها، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره ونواهيه، فإنَّه الكتاب الجليل، الَّذي لا مُبدِّل لكلماته، أي: لا تُغيَّر ولا تُبدَّل لصدقِها وعدلها، وبلوغها من الحسن فوق كلِّ غايةٍ، ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾[الأنعام:١١٥]، فلتمامها استحال عليها التَّغيير والتَّبديل، فلو كانت ناقصةً لعرض لها ذلك أو شيءٌ منه، وفي هذا تعظيمٌ للقرآن في ضمنه التَّرغيبُ علىٰ الإقبال عليه.

﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾﴾ أي: لن تجد من دون ربِّك مَلجأً تلجأُ إليه، ولا مَعاذًا تعوذ به، فإذا تعيَّن أنَّه وحده المَلجأُ في كلِّ الأمور، تعيَّن أن يكون هو المَألوه المرغوب إليه في السَّرَّاء والضَّرَّاء، المُفتقَر إليه في جميع الأحوال، المَسئول في جميع المَطالب.

[٢٨] ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾.

يأمر تعالىٰ نبيَّه محمَّدًا ﷺ -وغيرُه أُسوتُه في الأوامر والنَّواهي- أن يصبر نفسه مع المؤمنين العُبَّاد المُنيبين ﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ أي: أوَّل النَّهار وآخره، يريدون بذلك وجه اللَّه، فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمر بصحبة الأخيار، ومُجاهدة النَّفس علىٰ صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء، فإنَّ في صحبتهم من الفوائد ما لا يُحصىٰ.

﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ أي: لا تُجاوزهم بصرَك، وترفع عنهم نظرَك.

﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾، فإنَّ هذا ضارٌّ غير نافع، وقاطعٌ عن المصالح الدِّينيَّة، فإنَّ ذلك يوجب تعلُّق القلب بالدُّنيا، فتصير الأفكار والهواجس فيها، وتزول من القلب الرَّغبة في الآخرة، فإنَّ زينة الدُّنيا تروق للنَّاظر، وتسحر العقل، فيغفل القلب عن ذكر اللَّه، ويُقبل علىٰ اللَّذَّات والشَّهوات، فيضيع وقته، وينفرط أمره، فيخسر الخسارة الأبديَّة، والنَّدامة السَّرمديَّة، ولهذا قال: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾، غفل عن اللَّه فعاقبه بأن أغفله عن ذكره.

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ أي: صار تبعًا لهواه، حيث ما اشتهت نفسه فعله، وسعىٰ في إدراكه، ولو كان فيه هلاكُه وخسرانُه، فهو قد اتَّخذ إلهه هواه، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾[الجاثية:٢٣] الآية.

﴿وَكَانَ أَمۡرُهُۥ﴾ أي: مصالح دينه ودنياه ﴿فُرُطٗا ٢٨﴾ أي: ضائعةً مُعطَّلةً.

فهذا قد نهىٰ اللَّه عن طاعته؛ لأنَّ طاعته تدعو إلىٰ الاقتداء به، ولأنَّه لا يدعو إلَّا لما هو مُتَّصفٌ به، ودلَّت الآية علىٰ أنَّ الَّذي ينبغي أن يُطاع ويكون إمامًا للنَّاس من امتلأ قلبُه بمحبَّة اللَّه، وفاض ذلك علىٰ لسانه، فلهج بذكر اللَّه، واتَّبع مراضي ربِّه، فقدَّمها علىٰ هواه، فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعاله، ودعا النَّاس إلىٰ ما مَنَّ اللَّه به عليه، فحقيقٌ بذلك، أن يُتَّبع ويُجعَل إمامًا، والصَّبر المذكور في هذه الآية هو الصَّبر علىٰ طاعة اللَّه، الَّذي هو أعلىٰ أنواع الصَّبر، وبتمامه تتمُّ باقي الأقسام.

وفي الآية استحباب الذِّكر والدُّعاء والعبادة طرفي النَّهار؛ لأنَّ اللَّه مدحهم بفعله، وكلُّ فعلٍ مدح اللَّه فاعلَه دلَّ ذلك علىٰ أنَّ اللَّه يحبُّه، وإذا كان يحبُّه فإنَّه يأمر به، ويُرغِّبُ فيه.

[٢٩-٣١] ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا

خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾.

أي: قل للنَّاس يا محمَّد: هو الحقُّ من ربِّكم، أي: قد تبيَّن الهُدىٰ من الضَّلال، والرُّشد من الغيِّ، وصفات أهل السَّعادة، وصفات أهل الشَّقاوة، وذلك بما بيَّنه اللَّه علىٰ لسان رسوله، فإذا بان واتَّضح، ولم يبق فيه شبهةٌ، ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ أي: لم يبق إلَّا سلوك أحد الطَّريقين، بحسب توفيق العبد وعدم توفيقه، وقد أعطاه اللَّه مشيئةً بها يقدر علىٰ الإيمان والكفر، والخير والشَّرِّ، فمن آمن فقد وُفِّق للصَّواب، ومن كفر فقد قامت عليه الحجَّة، وليس بمُكرَهٍ علىٰ الإيمان؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وليس في قوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ الإذن في كلا الأمرين، وإنَّما ذلك تهديدٌ ووعيدٌ لمن اختار الكفر بعد البيان التَّامِّ؛ كما ليس فيها ترك قتال الكافرين.

ثمَّ ذكر تعالىٰ مآل الفريقين فقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ بالكفر والفسوق والعصيان ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ﴾ أي: سورها المُحيط بها، فليس لهم مَنفذٌ ولا طريقٌ ولا مُخلِّصٌ منها، تصلاهم النَّار الحامية.

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟﴾ أي: يطلبوا الشَّراب؛ ليطفئ ما نزل بهم من العطش الشَّديد، ﴿يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ أي: كالرَّصاص المُذاب، أو كعكر الزَّيت، من شدَّة حرارته، ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ﴾ أي: فكيف بالأمعاء والبطون؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحج]، ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ الَّذي يُراد ليُطفئ العطش، ويدفع بعض العذاب، فيكون زيادةً في عذابهم، وشدَّة عقابهم، ﴿وَسَآءَتْ﴾ النَّار ﴿مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ وهذا ذمٌّ لحالة النَّار، أنَّها ساءت المحلَّ، الَّذي يُرتَفق به، فإنَّها ليست فيها ارتفاقٌ، وإنَّما فيها العذاب العظيم الشَّاقُّ، الَّذي لا يُفتَّر عنهم ساعةً، وهم فيه مبلسون قد أيسوا من كلِّ خيرٍ، ونسيهم الرَّحيم في العذاب كما نسوه.

ثمَّ ذكر الفريق الثَّاني فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ أي: جمعوا بين

الإيمـان باللَّـه وملائكتـه وكتبـه ورسـله واليوم الآخـر والقـدر خيره وشـرِّه، وعمل الصَّالحـات مـن الواجبـات والمُسـتحبَّات، ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ وإحسـان العمـل: أن يريـد العبـد العمل لوجه اللَّـه، مُتَّبعًا فـي ذلك شـرع اللَّه، فهذا العمـل لا يُضيِّعـه اللَّـه، ولا شـيئًا منـه؛ بـل يحفظـه للعامليـن، ويُوفِّيهم مـن الأجر، بحسـب عملهم وفضله وإحسـانه.

وذكـر أجرهـم بقولـه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ أي: أولئـك الموصوفـون بالإيمـان والعمـل الصَّالـح، لهـم الجنَّـات العاليـات الَّتـي قـد كثرت أشـجارُها فأجنـت مـن فيهـا، وكثـرت أنهارهـا فصـارت تجـري مـن تحـت تلـك الأشـجار الأنيقـة، والمنازل الرَّفيعـة، وحِليتهم فيهـا الذَّهب، ولباسـهم فيها الحرير الأخضـر مـن السُّـندس وهـو الغليـظ مـن الدِّيبـاج، والإسـتبرق وهـو مـا رقَّ منـه، ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ وهـي السُّـرر المُزيَّنـة المُجمَّلـة بالثِّياب الفاخـرة، فإنَّها لا تُسـمَّىٰ أريكـةً حتَّـىٰ تكون كذلـك، وفي اتِّكائهـم علىٰ الأرائـك ما يـدلُّ علىٰ كمال الرَّاحـة، وزوال النَّصـب والتَّعـب، وكون الخدم يسـعون عليهم بما يشـتهون، وتمام ذلـك الخلـود الدَّائـم والإقامة الأبديَّـة، فهذه الـدَّار الجليلـة ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾ للعاملين ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ يرتفقـون بهـا، ويتمتَّعـون بمـا فيهـا ممَّـا تشـتهيه الأنفـس وتلـذُّ الأعيـن، من الحبـرة والسُّـرور، والفرح الدَّائـم، واللَّـذَّات المُتواتـرة، والنِّعم المُتوافـرة، وأيُّ مُرتفـقٍ أحسـنُ مـن دارٍ أدنىٰ أهلها يسـير في ملكـه ونعيمه وقصوره وبسـاتينه ألفـي سـنةٍ؟! ولا يرىٰ فـوق ما هو فيه مـن النَّعيم، قـد أُعطي جميـع أمانيه ومطالبـه، وزيـد مـن المطالـب مـا قصرت عنـه الأماني، ومع ذلـك فنعيمهـم علىٰ الـدَّوام مُتزايـدٌ فـي أوصافه وحُسـنه، فنسـأل اللَّه الكريـم أن لا يحرمنا خيـر ما عنده من الإحسـان بشـرِّ ما عندنـا مـن التَّقصيـر والعصيان.

ودلَّـت الآيـة الكريمة وما أشـبهها علـىٰ أنَّ الحلية عامَّـةٌ للذُّكور والإنـاث؛ كما ورد فـي الأحاديث الصَّحيحـة؛ لأنَّه أطلقها فـي قوله ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ وكذلـك الحرير ونحوه.

[٣٢-٣٤] ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالىٰ لنبيِّه ﷺ: اضرب للنَّاس مثل هذين الرَّجلين، الشَّاكر لنعمة اللَّه، والكافر لها، وما صدر من كلٍّ منهما من الأقوال والأفعال، وما حصل بسبب ذلك من العقاب العاجل والآجل، والثَّواب؛ ليعتبروا بحالهما، ويتَّعظوا بما حصل عليهما، وليس معرفة أعيان الرَّجلين وفي أيِّ زمانٍ أو مكانٍ هما فيه فائدةٌ أو نتيجةٌ، فالنَّتيجة تحصل من قصَّتهما فقط، والتَّعرُّض لما سوىٰ ذلك من التَّكلُّف، فأحد هذين الرَّجلين الكافر لنعمة اللَّه الجليلة، جعل اللَّه له ﴿جَنَّتَيۡنِ﴾ -أي: بستانين حسنين- ﴿مِنۡ أَعۡنَٰبٖ﴾.

﴿وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ﴾ أي: في هاتين الجنَّتين من كلِّ الثَّمرات، وخصوصًا أشرف الأشجار: العنب والنَّخل، فالعنب في وسطها، والنَّخل قد حفَّ بذلك ودار به، فحصل فيه من حسن المنظر وبهائه، وبروز الشجَّر والنَّخل للشَّمس والرِّياح الَّتي تكمُل بها الثِّمار، وتنضج وتتجوهر، ومع ذلك جعل بين تلك الأشجار زرعًا، فلم يبق عليهما إلَّا أن يُقال: كيف ثمار هاتين الجنَّتين؟ وهل لهما ماءٌ يكفيهما؟ فأخبر تعالىٰ أنَّ كلًّا من الجنَّتين آتت أكلها -أي: ثمرها وزرعها- ضعفين، أي: مُتضاعفًا ﴿وَ﴾ أنَّها ﴿لَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ﴾ أي: لم تنقص من أكلها أدنىٰ شيءٍ، ومع ذلك فالأنهار في جوانبهما سارحةٌ كثيرةٌ غزيرةٌ.

﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾ أي: لذلك الرَّجل ﴿ثَمَرٞ﴾ أي: عظيمٌ كما يفيده التَّنكير، أي: قد استكملت جنَّتاه ثمارهما، وارجحنت أشجارهما، ولم تعرض لهما آفةٌ أو نقصٌ، فهذا غاية مُنتهىٰ زينة الدُّنيا في الحرث، ولهذا اغترَّ هذا الرَّجل بهما، وتبجَّح وافتخر، ونسي آخرته.

﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾﴾ أي: فقال صاحب الجنَّتين لصاحبه المُؤمن وهما يتحاوران -أي: يتراجعان بينهما في بعض

الماجريات المُعتادة- مُفتخرًا عليه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾، فخر بكثرة ماله وعزَّة أنصاره من عبيدٍ، وخدم، وأقارب، وهذا جهلٌ منه، وإلَّا فأيُّ افتخارٍ بأمرٍ خارجيٍّ ليس فيه فضيلةٌ نفسيَّةٌ، ولا صفةٌ معنويَّةٌ، وإنَّما هو بمنزله فخر الصَّبي بالأماني الَّتي لا حقائق تحتها، ثمَّ لم يكفه هذا الافتخار علىٰ صاحبه حتَّىٰ حكم بجهله وظلمه، وظنَّ لمَّا دخل جنَّته.

[٣٥-٣٦] ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾.

فـ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾ أي: تنقطع وتضمحلَّ ﴿هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾، فاطمأنَّ إلىٰ هذه الدُّنيا، ورضىٰ بها، وأنكر البعث، فقال: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ علىٰ ضرب المثل ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ أي: ليعطيني خيرًا من هاتين الجنَّتين، وهذا لا يخلو من أمرين:

- إمَّا أن يكون عالمًا بحقيقة الحال، فيكون كلامه هذا علىٰ وجه التَّهكُّم والاستهزاء، فيكون زيادة كفرٍ إلىٰ كفره.
- وإمَّا أن يكون هذا ظنَّه في الحقيقة، فيكون من أجهل النَّاس، وأبخسهم حظًّا من العقل، فأيُّ تلازُمٍ بين عطاء الدُّنيا وعطاء الآخرة حتَّىٰ يظنَّ بجهله أنَّ من أُعطي في الدُّنيا أُعطي في الآخرة؟! بل الغالب أنَّ اللَّه تعالىٰ يزوي الدُّنيا عن أوليائه وأصفيائه، ويُوسِّعها علىٰ أعدائه الَّذين ليس لهم في الآخرة نصيبٌ.

والظَّاهر أنَّه يعلم حقيقة الحالِ، ولكنَّه قال هذا الكلام علىٰ وجه التَّهكُّم والاستهزاء، بدليل قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾، فإثبات أنَّ وصفه الظُّلم في حال دخوله الَّذي جرىٰ منه من القول ما جرىٰ يدلُّ علىٰ تمرُّده وعناده.

[٣٧-٣٩] ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾.

أي: قال له صاحبه المؤمن ناصحًا له، ومُذكِّرًا له حاله الأولىٰ، الَّتي أوجده اللَّه فيها في الدُّنيا ﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾، فهو الَّذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد والإمداد، وواصل عليك النِّعم، ونقلك من طورٍ إلىٰ طورٍ حتَّىٰ سوَّاك رجلًا كامل الأعضاء والجوارح المحسوسة والمعقولة، وبذلك يسَّر لك الأسباب، وهيَّأ لك ما هيَّأ من نعم الدُّنيا، فلم تحصل لك الدُّنيا بحولك وقوتك؛ بل بفضل اللَّه تعالىٰ عليك، فكيف يليق بك أن تكفر باللَّه الَّذي خلقك من ترابٍ، ثمَّ من نطفةٍ، ثمَّ سوَّاك رجلًا، وتجحد نعمته، وتزعم أنَّه لا يبعثك، وإن بعثك أنَّه يعطيك خيرًا من جنَّتك؟! هذا ممَّا لا ينبغي ولا يليق.

ولهذا لمَّا رأىٰ صاحبه المؤمن حاله واستمراره علىٰ كفره وطغيانه قال مُخبرًا عن نفسه علىٰ وجه الشُّكر لربِّه، والإعلان بدينه، عند ورود المجادلات والشُّبه: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا (٣٨)﴾، فأقرَّ بربوبيَّته لربِّه، وانفراده فيها، والتزم طاعته وعبادته، وأنَّه لا يشرك به أحدًا من المخلوقين، ثمَّ أخبره أنَّ نعمة اللَّه عليه بالإيمان والإسلام -ولو مع قلَّة ماله وولده- أنَّها هي النِّعمة الحقيقيَّة، وأنَّ ما عداها مُعرَّضٌ للزَّوال والعقوبة عليه والنَّكال، فقال:

[٤٠-٤٤] ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)﴾.

أي: قال للكافر صاحبُه المؤمن: أنت -وإن فخرت عليَّ بكثرة مالك وولدك، ورأيتني أقلَّ منك مالًا وولدًا- فإنَّ ما عند اللَّه خيرٌ وأبقىٰ، وما يُرجىٰ من خيره وإحسانه أفضل من جميع الدُّنيا الَّتي يتنافس فيها المتنافسون.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ أي: علىٰ جنَّتك الَّتي طغيت بها وغرَّتك ﴿حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: عذابًا بمطرٍ عظيمٍ أو غيره، ﴿فَتُصْبِحَ﴾

بسبب ذلك ﴿صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾﴾ أي: قد اقتُلعت أشجارُها، وتلفت ثمارُها، وغرق زرعُها، وزال نفعُها.

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا﴾ الَّذي مادَّتُها منه ﴿غَوْرًا﴾ أي: غائرًا في الأرض ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾ أي: غائرًا لا يُستَطاع الوصولُ إليه بالمعاول ولا بغيرها، وإنَّما دعا علىٰ جنَّته المؤمنُ غضبًا لربِّه؛ لكونها غرَّته وأطغته، واطمأنَّ إليها، لعلَّه يُنيب، ويُراجع رُشده، ويُبصر في أمره.

فاستجاب اللَّه دعاءه ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ أي: أصابه عذابٌ أحاط به، واستهلكه، فلم يبق منه شيءٌ، والإحاطة بالثَّمر يستلزم تلف جميع أشجاره، وثماره، وزرعه، فندم كلَّ النَّدامة، واشتدَّ لذلك أسفُه، ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ أي: علىٰ كثرة نفقاته الدُّنيويَّة عليها، حيث اضمحلَّت وتلاشت، فلم يبق لها عِوَضٌ، وندم أيضًا علىٰ شركه وشرِّه، ولهذا قال: ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ أي: لمَّا نزل العذاب بجنَّته، ذهب عنه ما كان يفتخر به من قوله لصاحبه: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾، فلم يدفعوا عنه من العذاب شيئًا، أشدَّ ما كان إليهم حاجةً، وما كان بنفسه مُنتصرًا، وكيف ينتصر -أي: يكون له أنصارٌ- علىٰ قضاء اللَّه وقدره الَّذي إذا أمضاه وقدَّره لو اجتمع أهل السَّماء والأرض علىٰ إزالة شيءٍ منه لم يقدروا؟

ولا يُستبعد من رحمة اللَّه ولُطفه أنَّ صاحب هذه الجنَّة الَّتي أُحيط بها تحسَّنت حاله، ورزقه اللَّه الإنابة إليه، وراجع رُشده، وذهب تمرُّده وطغيانه، بدليل أنَّه أظهر النَّدم علىٰ شركه بربِّه، وأنَّ اللَّه أذهب عنه ما يُطغيه، وعاقبه في الدُّنيا، وإذا أراد اللَّه بعبدٍ خيرًا عجَّل له العقوبة في الدُّنيا، وفضلُ اللَّه لا تحيط به الأوهامُ والعقول، ولا ينكره إلَّا ظالمٌ جهولٌ.

﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ أي: في تلك الحال الَّتي أجرىٰ

اللَّـه فيهـا العقوبـة علىٰ من طغـىٰ، وآثـر الحيـاة الدُّنيـا، والكرامة لمن آمـن، وعمل صالحًـا، وشـكر اللَّـه، ودعـا غيـره؛ لذلـك تبيَّـن وتوضَّـح أنَّ الولايـة للَّـه الحـقِّ، فمـن كان مؤمنًـا بـه تقيًّـا كان له وليًّـا، فأكرمه بأنـواع الكرامـات، ودفع عنه الشُّـرور والمَثُـلات، ومـن لـم يؤمـن بربِّـه ويتـولَّاه خسـر دينـه ودنيـاه، فثوابـه الدُّنيـويُّ والأخـرويُّ خيـرُ ثـوابٍ يُرجـىٰ ويُؤمَّل.

ففي هذه القصَّة العظيمة:

- اعتبـارٌ بحـال الَّـذي أنعـم اللَّـه عليـه نعمًـا دنيويَّـةً، فألهتـه عـن آخرتـه وأطغتـه، وعصـىٰ اللَّـه فيهـا، أنَّ مآلهـا الانقطـاع والاضمحـلال.
- وأنَّه وإن تمتَّع بها قليلًا فإنَّه يُحرَمُها طويلًا.
- وأنَّ العبـد ينبغـي لـه إذا أعجبـه شـيءٌ مـن مالـه أو ولـده أن يضيـف النِّعمـة إلىٰ مُولِيهـا ومُسـديها، وأن يقـول: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾؛ ليكـون شـاكرًا للَّـه مُتسـبِّبًا لبقـاء نعمتـه عليـه، لقولـه: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾.
- وفيها: الإرشـاد إلىٰ التَّسـلِّي عـن لذَّات الدُّنيا وشـهواتها بما عند اللَّـه من الخير؛ لقوله: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾.
- وفيهـا: أنَّ المـال والولـد لا ينفعان إن لـم يُعينا علـىٰ طاعة اللَّه؛ كما قـال تعالـىٰ: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾[سبأ:٣٧].
- وفيهـا: الدُّعـاء بتلف مال ما كان مالُه سـبب طغيانـه وكفره وخسـرانه، خصوصًا إن فضَّل نفسـه بسـببه علىٰ المؤمنيـن، وفخر عليهم.
- وفيهـا: أنَّ ولايـة اللَّـه وعدمهـا إنَّمـا تتَّضـح نتيجتُهـا إذا انجلـىٰ الغبـار وحـقَّ الجـزاء، ووجـد العاملـون أجرهـم فــ ﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾﴾ أي: عاقبـةً ومـآلًا.

[٤٥-٤٦] ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ

ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾.

يقول تعالىٰ لنبيِّه ﷺ أصلًا ولمن قام بوراثته بعده تبعًا: اضرب للنَّاس مثل الحياة الدُّنيا ليتصوَّروها حقَّ التَّصوُّر، ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدَّار الباقية، ويُؤثروا أيَّهما أولىٰ بالإيثار، وأنَّ مثل هذه الحياة الدُّنيا كمثل المطر، ينزل علىٰ الأرض، فيختلط نباتها، تنبت من كلِّ زوجٍ بهيجٍ، فبينا زهرتُها وزخرفها تسُرُّ النَّاظرين، وتُفرِح المُتفرِّجين، وتأخذ بعيون الغافلين، إذ أصبحت هشيمًا تذروه الرِّياح، فذهب ذلك النَّبات النَّاضر، والزَّهر الزَّاهر، والمنظر البهيُّ، فأصبحت الأرض غبراء ترابًا، قد انحرف عنها النَّظر، وصدف عنها البصر، وأوحشت القلب، كذلك هذه الدُّنيا، بينما صاحبها قد أُعجب بشبابه، وفاق فيها علىٰ أقرانه وأترابه، وحصَّل درهمها ودينارها، واقتطف من لذَّته أزهارها، وخاض في الشَّهوات في جميع أوقاته، وظنَّ أنَّه لا يزال فيها سائر أيَّامه، إذ أصابه الموت أو التَّلف لماله، فذهب عنه سرورُه، وزالت لذَّتُه وحُبورُه، واستوحش قلبه من الآلام، وفارق شبابه وقوَّته وماله، وانفرد بصالح أو سيِّء أعماله، هنالك يعَضُّ الظَّالم علىٰ يديه، حين يعلم حقيقة ما هو عليه، ويتمنَّىٰ العود إلىٰ الدُّنيا، لا ليستكمل الشَّهوات؛ بل ليستدرك ما فرط منه من الغفلات، بالتَّوبة والأعمال الصَّالحات، فالعاقل الجازم المُوفَّق يعرض علىٰ نفسه هذه الحالة، ويقول لنفسه: قدِّري أنك قد مُتِّ -ولابدَّ أن تموتي- فأيَّ الحالتين تختارين؟ الاغترار بزخرف هذه الدَّار، والتَّمتُّع بها كتمتُّع الأنعام السَّارحة، أم العمل لدارٍ أكُلُها دائمٌ وظلُّها، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين؟ فبهذا يُعرف توفيق العبد من خذلانه، وربحه من خسرانه.

ولهذا أخبر تعالىٰ أنَّ المال والبنين زينة الحياة الدُّنيا، أي: ليس وراء ذلك شيءٌ، وأنَّ الَّذي يبقىٰ للإنسان وينفعه ويسُرُّه الباقيات الصَّالحات، وهذا يشمل جميع الطَّاعات الواجبة والمُستحبَّة من حقوق اللَّه، وحقوق عباده، من صلاةٍ، وزكاةٍ، وصدقةٍ، وحجٍّ، وعمرةٍ، وتسبيحٍ، وتحميدٍ، وتهليلٍ، وتكبيرٍ، وقراءةٍ، وطلب

علـمٍ نافـعٍ، وأمـرٍ بمعـروفٍ، ونهـيٍ عـن مُنكـرٍ، وصِلـة رحـمٍ، وبـرٍّ والديـن، وقيامٍ بحـق الزَّوجـات، والمماليـك، والبهائـم، وجميع وجوه الإحسـان إلـىٰ الخلق، كلٌّ هـذا مـن الباقيـات الصَّالحـات، فهذه خيـرٌ عند اللَّـه ثوابًا وخيـرٌ أمـلًا، فثوابها يبقىٰ ويتضاعـف علـىٰ الآبـاد، ويُؤمَّـل أجرُهـا وبرُّهـا ونفعهـا عنـد الحاجـة، فهـذه الَّتي ينبغـي أن يتنافـس بهـا المتنافسـون، ويسـتبق إليهـا العاملـون، ويجِدَّ فـي تحصيلها المُجتهدون.

وتأمَّـل كيـف لمَّا ضـرب اللَّه مثـل الدُّنيـا وحالَهـا واضمحلالَهـا ذكر أنَّ الَّـذي فيها نوعان:

- نـوعٌ مـن زينتهـا، يُتمتَّـع بـه قليـلا ثـمَّ يـزول بلا فائـدةٍ تعـود لصاحبـه؛ بـل ربَّما لحقتـه مضرَّتـه وهـو المـال والبنون.
- ونوعٌ يبقىٰ وينفع صاحبه علىٰ الدَّوام، وهي الباقيات الصَّالحات.

[٤٧-٤٩] ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾.

يُخبـر تعالـىٰ عـن حـال يـوم القيامـة، ومـا فيـه مـن الأهـوال المُقلقـة، والشَّـدائد المثزعجـة فقـال: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴾ أي: يُزيلهـا عـن أماكنهـا، يجعلهـا كثيبًـا، ثمَّ يجعلهـا كالعهـن المَنفـوش، ثـمَّ تضمحِـلُّ وتتلاشـىٰ، وتكـون هبـاءً مُنبثًّـا، وتبـرُز الأرض فتصيـرُ قاعًـا صفصفًـا، لا عـوج فيـه ولا أمتًـا، ويحشـر اللَّـه جميـع الخلق علـىٰ تلـك الأرض، فـلا يُغادر منهـم أحدًا؛ بل يجمـع الأوَّلين والآخريـن من بطون الفلـوات، وقعـور البحـار، ويجمعهم بعدمـا تفرَّقوا، ويعيدهـم بعد ما تمزَّقـوا خلقًا جديـدًا، فيُعرَضـون عليـه صفًّـا؛ ليسـتعرضهم وينظـر فـي أعمالهـم، ويحكـم فيهم بحكمـه العـدل، الَّـذي لا جـورَ فيـه ولا ظلـمَ، ويقـول لهـم: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[الأنعـام:٩٤] أي: بـلا مـالٍ، ولا أهـلٍ، ولا عشـيرةٍ، مـا معهـم

إلَّا الأعمال الَّتي عملوها، والمكاسب في الخير والشَّرِّ التي كسبوها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾[الأنعام:٩٤].

وقال هنا مُخاطبًا للمُنكرين للبعث وقد شاهدوه عيانًا: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ أي: أنكرتم الجزاء علىٰ الأعمال، ووَعدَ اللَّه ووَعيدَه، فها قد رأيتموه وذُقتموه، فحينئذٍ تحضر كتب الأعمال الَّتي كتبتها الملائكة الكرام فتطير لها القلوب، وتعظُم من وقعها الكروب، وتكاد لها الصَّمُّ الصِّلاب تذوب، ويُشفق منها المُجرمون، فإذا رأوها مُسطَّرةً عليهم أعمالهم، مُحصًىٰ عليهم أقوالهم وأفعالهم، قالوا: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ أي: لا يترك خطيئةً صغيرةً ولا كبيرةً إلَّا وهي مكتوبةٌ فيه، محفوظةٌ لم يُنسَ منها عملُ سرٍّ ولا علانيةٍ، ولا ليل ولا نهارٍ، ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ لا يقدرون علىٰ إنكاره ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ فحينئذٍ يُجازَون بها، ويُقرَّرون بها، ويُخزَون، ويحقُّ عليهم العذاب، ذلك بما قدَّمت أيديهم وأنَّ اللَّه ليس بظلَّام للعبيدِ؛ بل هم غير خارجين عن عدله وفضله.

[٥٠] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾.

يُخبر تعالىٰ، عن عداوة إبليس لآدم وذُرِّيَّته، وأنَّ اللَّه أمر الملائكة بالسُّجود لآدم إكرامًا وتعظيمًا، وامتثالًا لأمر اللَّه، فامتثلوا ذلك ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ﴾ وقال: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾[الإسراء]، وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[الأعراف:١٢]، فتبيَّن بهذا عداوته للَّه ولأبيكم ولكم، فكيف تتَّخذونه ﴿وَذُرِّيَّتَهُ﴾ -أي: الشَّياطين- ﴿أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ أي: بئس ما اختاروا لأنفسهم من ولاية الشَّيطان الَّذي لا يأمرهم إلَّا بالفحشاء والمُنكر عن ولاية الرَّحمن الَّذي كلُّ السَّعادة والفلاح والسُّرور في ولايته.

وفي هذه الآية، الحثُّ علىٰ اتِّخاذ الشَّيطان عدُوًّا، والإغراء بذلك، وذكر السَّبب الموجب لذلك، وأنَّه لا يفعل ذلك إلَّا ظالمٌ، وأيُّ ظلمٍ أعظم من ظلم من اتَّخذ عدُوَّه الحقيقيَّ وليًّا، وترك الوليَّ الحميد؟

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾[البقرة:٢٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[الأعراف:٣٠].

[٥١-٥٢] ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾﴾.

يقول تعالىٰ: ما أشهدت الشَّياطين وهؤلاء المُضلِّين ﴿خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾، أي: ما أحضرتهم ذلك، ولا شاورتهم عليه، فكيف يكونون خالقين لشيءٍ من ذلك؟! بل المُنفرد بالخلق والتَّدبير، والحكمة والتَّقدير؛ هو اللَّه، خالقُ الأشياء كلِّها، المُتصرِّف فيها بحكمته، فكيف يُجعَل له شركاءُ من الشَّياطين، يُوالَون ويُطاعون كما يُطاع اللَّهُ، وهم لم يخلقوا ولم يشهدوا خلقًا، ولم يعاونوا اللَّه تعالىٰ؟! ولهذا قال: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾﴾ أي: مُعاونين مُظاهرين للَّه علىٰ شأنٍ من الشُّؤون، أي: ما ينبغي ولا يليق باللَّه أن يجعل لهم قسطًا من التَّدبير؛ لأنَّهم ساعون في إضلال الخلق والعداوة لربِّهم، فاللَّائق أن يُقصيهم ولا يُدنيهم.

ولمَّا ذكر حال من أشرك به في الدُّنيا، وأبطل هذا الشِّرك غاية الإبطال، وحكم بجهل صاحبه وسفهه؛ أخبر عن حالهم مع شُركائهم يوم القيامة، وأنَّ اللَّه يقول لهم: ﴿نَادُواْ شُرَكَآءِيَ﴾ بزعمكم أي: علىٰ مُوجب زعمكم الفاسد، وإلَّا فبالحقيقة ليس للَّه شريكٌ في الأرض، ولا في السَّماء، أي: نادوهم لينفعوكم، ويُخلِّصوكم من الشَّدائد، ﴿فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾؛ لأنَّ الحكم والمُلك يومئذٍ للَّه، لا أحد يملك مثقال ذرَّةٍ من النَّفع لنفسه ولا لغيره.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ أي: بين المُشركين وشُركائهم ﴿مَّوْبِقًا ۝٥٢﴾ أي مهلكًا يُفرِّق بينهم وبينهم، ويُبعد بعضهم من بعضٍ، ويتبيَّن حينئذٍ عداوة الشُّركاء لشُركائهم، وكفرُهم بهم، وتبرِّيهم منهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾[الأحقاف].

[٥٣] ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ۝٥٣﴾.

أي: لمَّا كان يوم القيامة وحصل من الحساب ما حصل، وتميَّز كلُّ فريقٍ من الخلق بأعمالهم، وحقَّت كلمة العذاب علىٰ المُجرمين، فرأوا جهنَّم قبل دخولها، فانزعجوا واشتدَّ قلقهم لظنِّهم أنَّهم مُواقِعوها، وهذا الظَّنُّ قال المُفسِّرون: إنَّه بمعنىٰ اليقين، فأيقنوا أنَّهم داخلوها، ﴿وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ۝٥٣﴾ أي: مَعدلًا يعدِلون إليه، ولا شافعَ لهم من دون إذنه، وفي هذا من التَّخويف والتَّرهيب ما ترعد له الأفئدة والقلوب.

[٥٤] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾.

يُخبر اللَّه تعالىٰ عن عظمة القرآن، وجلالته، وعُمومه، وأنَّه صُرِّف فيه من كلِّ مثلٍ، أي: من كلِّ طريقٍ موصل إلىٰ العلوم النَّافعة، والسَّعادة الأبديَّة، وكلِّ طريقٍ يعصِمُ من الشَّرِّ والهلاك، ففيه: أمثالُ الحلال والحرام، وجزاءُ الأعمال، والتَّرغيبُ والتَّرهيبُ، والأخبارُ الصَّادقة النَّافعة للقلوب، اعتقادًا، وطمأنينةً، ونورًا، وهذا ممَّا يوجب التَّسليم لهذا القرآن، وتلقِّيه بالانقياد والطَّاعة، وعدم المُنازعة له في أمرٍ من الأمور، ومع ذلك كان كثيرٌ من النَّاس يُجادلون في الحقِّ بعد ما تبيَّن، ويُجادلون بالباطل ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾، ولهذا قال: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾ أي: مُجادلةً ومُنازعةً فيه، مع أنَّ ذلك غير لائقٍ بهم، ولا عدلٌ منهم، والَّذي أوجب له ذلك وعدم الإيمان باللَّه إنَّما هو الظُّلم والعناد، لا لقصورٍ في بيانه وحُجَّته وبرهانه، وإلَّا فلو جاءهم العذاب، وجاءهم ما جاء قبلهم؛ لم تكن هذه حالهم، ولهذا قال:

[٥٥] ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾.

أي: ما منع النَّاس من الإيمان، والحالُ أنَّ الهدىٰ الَّذي يحصل به الفرق بين الهدىٰ والضلَّال، والحقِّ والباطل، قد وصل إليهم، وقامت عليهم حُجَّة اللَّه، فلم يمنعهم عدمُ البيان؛ بل منعهم الظُّلم والعُدوان عن الإيمان، فلم يبق ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ﴾ اللَّه وعادَتُه في ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من أنَّهم إذا لم يؤمنوا عوجِلوا بالعذاب، أو يرون العذاب قد أقبل عليهم، ورأوه مُقابلةً ومُعاينةً، أي: فليخافوا من ذلك، وليتوبوا من كفرهم، قبل أن يكون العذاب الَّذي لا مَرَدَّ له.

[٥٦] ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾.

أي: لم نرسل الرُّسل عبثًا، ولا ليتَّخذهم النَّاس أربابًا، ولا ليدعوا إلىٰ أنفسهم؛ بل أرسلناهم يدعون النَّاس إلىٰ كلِّ خيرٍ، وينهون عن كلِّ شرٍّ، ويُبشِّرونهم علىٰ امتثال ذلك بالثَّواب العاجل والآجل، ويُنذرونهم علىٰ معصية ذلك بالعقاب العاجل والآجل، فقامت بذلك حُجَّة اللَّه علىٰ العباد، ومع ذلك يأبىٰ الظَّالمون الكافرون إلَّا المُجادلة ﴿بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ﴾، فسعوا في نصر الباطل مهما أمكنهم، وفي دحض الحقِّ وإبطاله، واستهزؤوا برسل اللَّه وآياته، وفرحوا بما عندهم من العلم، ويأبىٰ اللَّه إلَّا أن يُتِمَّ نورَه ولو كره الكافرون، ويُظهر الحقَّ علىٰ الباطل، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ﴾[الأنبياء:١٨]، ومن حكمة اللَّه ورحمته أنَّ تقييضه المُبطلين المُجادلين الحقَّ بالباطل من أعظم الأسباب إلىٰ وضوح الحقِّ وتبيُّنِ شواهدِه وأدلَّتِه، وتبيُّنِ الباطل وفساده، فبضدِّها تتبيَّن الأشياءُ!

[٥٧-٥٩] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ

لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴿٥٩﴾﴾.

يُخبر تعالىٰ أنَّه لا أعظم ظلمًا ولا أكبر جرمًا من عبدٍ ذُكِّر بآيات اللَّه، وبُيِّن له الحقُّ من الباطل، والهُدىٰ من الضلَّال، وخُوِّف ورُهِّب ورُغِّب؛ فأعرض عنها، فلم يتذكَّر بما ذُكِّر به، ولم يرجع عمَّا كان عليه، ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ﴾ من الذُّنوب، ولم يُراقب علَّام الغيوب، فهذا أعظم ظُلمًا من المُعرِض الَّذي لم تأته آيات اللَّه ولم يُذكَّر بها، وإن كان ظالمًا، فإنَّه أخفُّ ظلمًا من هذا؛ لكون العاصي علىٰ بصيرةٍ وعلمٍ أعظم ممَّن ليس كذلك، ولكنَّ اللَّه تعالىٰ عاقبه بسبب إعراضه عن آياته، ونسيانه لذنوبه، ورضاه لنفسه حالة الشَّرِّ مع علمه بها؛ أن سدَّ عليه أبواب الهداية، بأن جعل علىٰ قلبه ﴿أَكِنَّةً﴾ أي: أغطيةً مُحكَمةً تمنعه أن يفقه الآيات وإن سمعتها، فليس في إمكانها الفقه الَّذي يصل إلىٰ القلب، ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ﴾ أي: صممًا يمنعهم من وصول الآيات، ومن سماعها علىٰ وجه الانتفاع، وإذا كانوا بهذه الحالة فليس لهدايتهم سبيلٌ، ﴿وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾﴾؛ لأنَّ الَّذي يُرجىٰ أن يُجيب الدَّاعي للهُدىٰ مَن ليس عالمًا، وأمَّا هؤلاء الَّذين أبصروا ثمَّ عَمُوا، ورأوا طريق الحقِّ فتركوه، وطريق الضَّلال فسلكوه، وعاقبهم اللَّه بإقفال القلوب والطَّبع عليها؛ فليس في هدايتهم حيلةٌ ولا طريقٌ.

وفي هذه الآية من التَّخويف لمن ترك الحقَّ بعد علمه، أن يُحالَ بينهم وبينه، ولا يتمكَّن منه بعد ذلك؛ ما هو أعظم مُرهِبٍ وزاجرٍ عن ذلك.

ثمَّ أخبر تعالىٰ عن سعة مغفرته ورحمته، وأنَّه يغفر الذُّنوب، ويتوب اللَّه علىٰ من يتوب، فيتغمَّده برحمته، ويشمله بإحسانه، وأنَّه لو آخذ العباد علىٰ ما قدَّمت أيديهم من الذُّنوب لعجَّل لهم العذابَ، ولكنَّه تعالىٰ حليمٌ لا يُعجِّل بالعقوبة؛ بل يُمهِلُ ولا يُهمِلُ، والذُّنوب لابدَّ من وقوع آثارها وإن تأخَّرت عنها مدَّةً طويلةً، ولهذا قال:

﴿بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ٥٨﴾ أي: لهم موعدٌ، يُجازَون فيه بأعمالهم، لابدَّ لهم منه، ولا مَندوحة لهم عنه، ولا مَلجأ ولا مَحيدَ عنه، وهذه سُنَّته في الأوَّلين والآخرين، أن لا يُعاجِلَهم بالعقابِ؛ بل يستدعيهم إلىٰ التَّوبة والإنابة، فإن تابوا وأنابوا غفر لهم ورحمهم، وأزال عنهم العقاب، وإلَّا فإن استمرُّوا علىٰ ظُلمِهم وعنادِهم، وجاء الوقت الَّذي جعله موعدًا لهم، أنزل بهم بأسه، ولهذا قال: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ أي: بظلمهم، لا بظلمٍ منَّا، ﴿وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ٥٩﴾ أي: وقتًا مُقدَّرًا، لا يتقدَّمون عنه ولا يتأخَّرون.

[٦٠-٦٥] ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ٦٢ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ٦٣ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥﴾.

يُخبر تعالىٰ عن نبيِّه موسىٰ عليه السلام، وشدَّة رغبته في الخير وطلب العلم، أنَّه قال لفتاه -أي: خادمه الَّذي يُلازمه في حضره وسفره، وهو «يوشَعُ بنُ نُونٍ» الَّذي نبَّأه اللَّه بعد ذلك-: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ أي: لا أزالُ مُسافرًا وإن طالت عليَّ الشُّقَّة، ولحقتني المَشقَّةُ، حتَّىٰ أصل إلىٰ مجمع البحرين، وهو المكان الَّذي أُوحِي إليه أنَّك ستجد فيه عبدًا من عباد اللَّه العالمين، عنده من العلم ما ليس عندك، ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠﴾ أي: مسافةً طويلةً، المعنىٰ: أنَّ الشَّوق والرَّغبة حمل موسىٰ أن قال لفتاه هذه المقالة، وهذا عزمٌ منه جازمٌ، فلذلك أمضاه.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ أي: هو وفتاه ﴿مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ وكان معهما حوتٌ يتزوَّدان منه ويأكُلان، وقد وُعِدَ أنَّه متىٰ فقد الحوت فثمَّ ذلك العبد الَّذي

قصدتَـه، ﴿فَٱتَّخَذَ﴾ ذلـك الحـوتُ ﴿سَبِيلَهُۥ﴾ أي: طريقـه ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ٦١﴾، وهذا مـن الآيـات، قـال المُفسِّـرون: إنَّ ذلـك الحوت الَّـذي كانا يتـزوَّدان منـه لمَّا وصلا إلـىٰ ذلـك المـكان، أصابـه بلـلُ البحر، فانسـرَبَ بـإذن اللَّـه فـي البحرِ، وصـار مع حيواناتـه حيًّا!

فلمَّـا جاوز موسـىٰ وفتاه مجمع البحرين، قال موسـىٰ لفتـاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ٦٢﴾ أي: لقـد تعبنـا من هذا السَّـفر المُجاوِز فقط، وإلَّا فالسَّـفر الطَّويـل الـذَّي وصـلا به إلـىٰ مجمـع البحرين لم يجـدا مـسَّ التَّعب فيـه، وهذا من الآيـات والعلامات الدَّالَّة لموسـىٰ علـىٰ وجود مَطلبِـه، وأيضًا فإنَّ الشَّـوق المُتعلِّق بالوصـول إلـىٰ ذلـك المكان سـهَّل لهما الطَّريـق، فلمَّا تجـاوزا غايتَهمـا وجدا مسَّ التَّعب.

فلمَّـا قـال موسـىٰ لفتـاه هـذه المقالـة، قـال لـه فتـاه: ﴿أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ﴾ أي: ألـم تعلـم حيـن آوانـا اللَّيـل إلىٰ تلك الصَّخـرة المَعروفـة بينهما ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾؛ لأنَّـه السَّـبب فـي ذلك، ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ٦٣﴾ أي: لمَّـا انسـرب فـي البحر ودخـل فيه، كان ذلك مـن العجائب، قـال المُفسِّـرون: كان ذلك المَسـلكُ للحوت سـربًا، ولموسـىٰ وفتـاه عجبًا.

فلمَّـا قـال له الفتـىٰ هذا القـول، وكان عند موسـىٰ وعدٌ من اللَّـه أنَّـه إذا فقد الحوت وجـد الخضـر، فقـال موسـىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ﴾ أي: نطلـب ﴿فَٱرۡتَدَّا﴾ أي: رجعـا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤﴾، أي رجعـا يقُصَّـان أثرَهمـا إلـىٰ المـكان الَّـذي نسيا فيه الحـوت، فلمَّـا وصـلا إليـه وجـدا ﴿عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ﴾ وهـو الخضـر، وكان عبـدًا صالحًـا لا نبيًّـا علـىٰ الصَّحيح.

﴿ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ أي: أعطـاه اللَّـه رحمـةً خاصَّـةً بهـا زاد عِلمُـه وحسُـن عملُـه، ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾ أي: مـن عندنـا ﴿عِلۡمٗا ٦٥﴾، وكان قـد أعطـي مـن العلـم مـا لـم يعـط موسـىٰ، وإن كان موسـىٰ عليه السـلام أعلم منـه بأكثر الأشـياء، وخصوصـا فـي العلـوم الإيمانية، والأصوليـة، لأنه من أولـي العزم من المرسـلين،

الذين فضلهم الله علىٰ سائر الخلق، بالعلم، والعمل، وغير ذلك.

[٦٦-٧٣] ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ٧٣﴾.

فلمَّا اجتمع به موسىٰ قال له علىٰ وجه الأدب والمُشاورة، والإخبار عن مطلبه: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦﴾؟ أي: هل أتبعك علىٰ أن تعلِّمني ممَّا علمك اللَّه ما به أسترشد وأهتدي، وأعرف به الحقَّ في تلك القضايا؟ وكان الخضر قد أعطاه اللَّه من الإلهام والكرامة ما به يحصل له الاطِّلاع علىٰ بواطِنِ كثيرٍ من الأشياء الَّتي خفِيت حتَّىٰ علىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال الخضر لموسىٰ: لا أمتنع من ذلك، ولكنَّك ﴿لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧﴾ أي: لا تقدر علىٰ اتِّباعي ومُلازمتي؛ لأنَّك ترىٰ ما لا تقدر علىٰ الصَّبر عليه من الأمور الَّتي ظاهرها المُنكر وباطنها غير ذلك، ولهذا قال: ﴿وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨﴾ أي: كيف تصبر علىٰ أمرٍ ما أحطت بباطنه وظاهره ولا علمت المقصود منه ومآلَه؟

فقال موسىٰ: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩﴾، وهذا عزمٌ منه قبل أن يوجد الشَّيء المُمتحَن به، والعزم شيءٌ ووجود الصَّبر شيءٌ آخر، فلذلك ما صبر موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حين وقع الأمر.

فحينئذٍ قال له الخضر: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠﴾ أي: لا تبتدئني بسؤالٍ منك وإنكارٍ حتَّىٰ أكون أنا الَّذي أُخبرك بحاله، في الوقت الَّذي ينبغي إخبارُك به، فنهاه عن سؤاله، ووعده أن يوقِفَه علىٰ حقيقة الأمر.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ﴾ أي: اقتلع الخضر منها لوحًا، وكان له مقصودٌ في ذلك سيُبيِّنه، فلم يصبر موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنَّ ظاهره أنَّه مُنكرٌ؛ لأنَّه عيبٌ للسَّفينة، وسببٌ لغرق أهلها، ولهذا قال موسىٰ: ﴿أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ

﴿شَيْـًٔا إِمْرًا ٧١﴾ أي: عظيمًا شنيعًا، وهذا من عدم صبره ﷺ، فقال له الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ٧٢﴾؟! أي: فوقع كما أخبرتك، وكان هذا من موسىٰ نسيانًا، فقال: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ٧٣﴾ أي: لا تُعسِّر عليَّ الأمر، واسمح لي، فإنَّ ذلك وقع علىٰ وجه النِّسيان، فلا تؤاخِذني في أوَّل مرَّةٍ، فجمع بين الإقرار به والعذر منه، وأنَّه ما ينبغي لك أيُّها الخضر الشِّدَّة علىٰ صاحبك، فسمح عنه الخضر.

[٧٤-٧٦] ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ٧٤ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ٧٥ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ٧٦﴾.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا﴾ أي: صغيرًا ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ الخضر، فاشتدَّ بموسىٰ الغضبُ، وأخذته الحميَّةُ الدِّينيَّةُ، حين قتل غلامًا صغيرًا لم يُذنِب، ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ٧٤﴾ وأي: نُكرٍ مثل قتل الصَّغير الَّذي ليس عليه ذنبٌ، ولم يقتل أحدًا؟! وكانت الأولىٰ من موسىٰ نسيانًا، وهذه غير نسيانٍ، ولكن عدم صبرٍ، فقال له الخضر مُعاتبًا ومُذكِّرًا: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ٧٥﴾؟! فقال له موسىٰ: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ﴾ بعد هذه المرَّة ﴿فَلَا تُصَـٰحِبْنِى ۖ﴾ أي: فأنت معذورٌ بذلك، وبترك صحبتي، ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ٧٦﴾ أي: أعذرت منِّي، ولم تُقصِّر.

[٧٧-٨٢] ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ٧٧ قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ٧٨ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَـٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ٧٩ وَأَمَّا الْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ٨٠ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ٨١ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ

تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ أي: استضافاهم، فلم يُضيِّفوهما، ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي: قد عاب واستهدم ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ الخضر، أي: بناه وأعاده جديدًا، فقال له موسىٰ: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ أي: أهل هذه القرية لم يُضيِّفونا مع وجوب ذلك عليهم، وأنت تبنيه من دون أجرةٍ، وأنت تقدر عليها؟ فحينئذٍ لم يف موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بما قال، واستعذر الخضر منه، فقال له: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، فإنَّك شرطت ذلك علىٰ نفسك، فلم يبق الآن عذرٌ، ولا موضعٌ للصُّحبة، ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ أي: سأخبرك بما أنكرت عليَّ، وأنبِّئُك بما لي في ذلك من المآرب، وما يؤول إليه الأمر.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾ الَّتي خرقتها ﴿فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ يقتضي ذلك الرِّقَّة عليهم والرَّأفة بهم، ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ أي: كان مرورهم علىٰ ذلك الملك الظَّالم، فكلُّ سفينةٍ صالحةٍ تمُرُّ عليه ما فيها عيبٌ غصبها وأخذها ظُلمًا، فأردت أن أخرقها ليكون فيها عيبٌ، فتسلم من ذلك الظَّالم.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ﴾ الَّذي قتلتُه ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾ وكان ذلك الغلام قد قُدِّر عليه أنَّه لو بلغ لأرهق أبويه طُغيانًا وكفرًا، أي: لحملهما علىٰ الطُّغيان والكفر، إمَّا لأجل محبَّتهما إيَّاه، أو للحاجة إليه، أو يحُدُّهما علىٰ ذلك، أي: فقتلتُه لاطِّلاعي علىٰ ذلك، سلامةً لدين أبويه المُؤمِنَين، وأيُّ فائدةٍ أعظم من هذه الفائدة الجليلة؟ وهو وإن كان فيه إساءةٌ إليهما، وقطعٌ لذُرِّيَّتهما، فإنَّ اللَّه تعالىٰ سيُعطيهما من الذُّرِّيَّة ما هو خيرٌ منه، ولهذا قال: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ أي: ولدًا صالحًا، زكيًّا، واصلًا لرحمه، فإنَّ الغلام الَّذي قتل لو بلغ لعقَّهما أشدَّ العُقوق بحملهما علىٰ الكفر والطُّغيان.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ﴾ الَّذي أقمتُه ﴿فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ

﴿أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ أي: حالهما تقتضي الرَّأفة بهما ورحمتهما؛ لكونهما صغيرين عدما أباهما، وحفظهما اللَّه أيضًا بصلاح والدهما، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا﴾ أي: فلهذا هدمتُ الجدارَ، واستخرجت ما تحته من كنزهما، وأعدتُه مجّانًا.

﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾ أي: هذا الَّذي فعلتُه رحمةٌ من اللَّه، آتاها اللَّه عبده الخضر، ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ أي: أتيتُ شيئًا من قبل نفسي، ومُجرَّد إرادتي، وإنَّما ذلك من رحمة اللَّه وأمرِه، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الَّذي فسَّرتُه لك ﴿تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢﴾.

وفي هذه القصَّة العجيبة الجليلة من الفوائد والأحكام والقواعد شيءٌ كثيرٌ، ننبِّه علىٰ بعضه بعون اللَّه:

- فمنها: فضيلة العلم، والرِّحلة في طلبه، وأنَّه أهمُّ الأمور، فإنَّ موسىٰ عليه السلام رحل مسافةً طويلةً، ولقي النَّصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل لتعليمهم وإرشادهم، واختار السَّفر لزيادة العلم علىٰ ذلك.
- ومنها: البداءة بالأهمِّ فالأهمِّ، فإنَّ زيادة العلم وعلم الإنسان أهمُّ من ترك ذلك والاشتغال بالتَّعليم من دون تزوُّدٍ من العلم، والجمع بين الأمرين أكملُ.
- ومنها: جواز أخذ الخادم في الحضر والسَّفر لكفاية المُؤن، وطلب الرَّاحة؛ كما فعل موسىٰ.
- ومنها: أنَّ المُسافر لطلب علمٍ أو جهادٍ أو نحوه، إذا اقتضت المصلحة الإخبار بمطلبه، وأين يريده؛ فإنَّه أكملُ من كتمه، فإنَّ في إظهاره فوائدَ من الاستعداد له عدَّته، وإتيان الأمر علىٰ بصيرةٍ، وإظهارًا لشرف هذه العبادة الجليلة؛ كما قال موسىٰ: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠﴾، وكما أخبر النَّبيُّ ﷺ أصحابه حين غزا تبوك بوجهه، مع أنَّ عادته التَّورية، وذلك تبعٌ للمصلحة.
- ومنها: إضافة الشَّرِّ وأسبابه إلىٰ الشَّيطان علىٰ وجه التَّسويل والتَّزيين، وإن كان الكلُّ بقضاء اللَّه وقدره؛ لقول فتىٰ موسىٰ: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ

أَذۡكُرَهُۥۚ﴾.

○ ومنها: جواز إخبار الإنسان عمَّا هو من مُقتضىٰ طبيعة النَّفس، من نصبٍ أو جوعٍ، أو عطش، إذا لم يكن علىٰ وجه التَّسخُّط وكان صدقًا؛ لقول موسىٰ: ﴿لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ٦٢﴾.

○ ومنها: استحباب كون خادم الإنسان ذكيًّا فطنًا كيِّسًا؛ ليتمَّ له أمره الَّذي يريده.

○ ومنها: استحبابُ إطعام الإنسان خادمَه من مأكله، وأكلهما جميعًا؛ لأنَّ ظاهر قوله: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ إضافةً إلىٰ الجميع: أنَّه أكل هو وهو جميعًا.

○ ومنها: أنَّ المعونة تنزل علىٰ العبد علىٰ حسب قيامه بالمأمور به، وأنَّ المُوافق لأمر اللَّه يُعان ما لا يُعان غيره؛ لقوله: ﴿لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ٦٢﴾ والإشارة إلىٰ السَّفر المجاوز لمجمع البحرين، وأمَّا الأوَّل فلم يشتك منه التَّعب مع طوله؛ لأنَّه هو السَّفر علىٰ الحقيقة، وأمَّا الأخير فالظَّاهر أنَّه بعض يوم؛ لأنَّهم فقدوا الحوت حين أووا إلىٰ الصَّخرة، فالظَّاهر أنَّهم باتوا عندها، ثمَّ ساروا من الغد، حتَّىٰ إذا جاء وقت الغداء قال موسىٰ لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾، فحينئذٍ تذكَّر أنَّه نسيه في الموضع الَّذي إليه مُنتهىٰ قصده.

○ ومنها: أنَّ ذلك العبد الَّذي لقياه ليس نبيًّا؛ بل عبدًا صالحًا؛ لأنَّه وصفه بالعبوديَّة، وذكر منَّة اللَّه عليه بالرَّحمة والعلم، ولم يذكر رسالته ولا نبُوَّته، ولو كان نبيًّا لذكر ذلك كما ذكره غيره، وأمَّا قوله في آخر القصة: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ فإنَّه لا يدلُّ علىٰ أنَّه نبيٌّ، وإنَّما يدُلُّ علىٰ الإلهام والتَّحديث؛ كما يكون لغير الأنبياء؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ﴾[القصص:٧]، ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا﴾[النَّحل:٦٨].

○ ومنها: أنَّ العلم الَّذي يُعلِّمه اللَّه لعباده نوعان: علمٌ مُكتسبٌ يدركه العبد بجدِّه واجتهاده، ونوعُ علمٌ لدُنِّيٌّ يهَبُه اللَّه لمن يمُنُّ عليه من عباده؛ لقوله ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾.

○ ومنها: التَّأدُّب مع المُعلِّم، وخطابُ المُتعلِّم إيَّاه ألطف خطابٍ؛ لقول موسىٰ ﷺ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾، فأخرج الكلام بصورة المُلاطفة والمُشاورة، وأنَّك هل تأذن لي في ذلك أم لا؟ وإقراره بأنَّه يتعلَّم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الَّذي لا يظهر للمُعلِّم افتقارُهم إلىٰ علمه؛ بل يدَّعي أنَّه يتعاون هم وإيَّاه؛ بل ربَّما ظن أنَّه يُعلِّم مُعلِّمه وهو جاهلٌ جدًّا، فالذُّلُّ للمُعلِّم وإظهار الحاجة إلىٰ تعليمه من أنفع شيء للمُتعلِّم.

○ ومنها: تواضع الفاضل للتَّعلُّم ممَّن دونه، فإنَّ موسىٰ -بلا شكٍّ- أفضل من الخضر.

○ ومنها: تعلُّم العالم الفاضل للعلم الَّذي لم يتمهَّر فيه ممَّن مهُر فيه وإن كان دونه في العلم بدرجاتٍ كثيرةٍ، فإنَّ موسىٰ ﷺ من أولي العزم من المُرسلين، الَّذين منحهم اللَّه وأعطاهم من العلم ما لم يُعطِ سواهم، ولكن في هذا العلم الخاصِّ كان عند الخضر ما ليس عنده، فلهذا حرص علىٰ التَّعلُّم منه، فعلىٰ هذا لا ينبغي للفقيه المُحدِّث إذا كان قاصرًا في علم النَّحو، أو الصَّرف، أو نحوه من العلوم؛ أن لا يتعلَّمه ممَّن مهُر فيه، وإن لم يكن مُحدِّثًا ولا فقيهًا.

○ ومنها: إضافةُ العلم وغيره من الفضائل للَّه تعالىٰ، والإقرارُ بذلك، وشكرُ اللَّه عليها؛ لقوله: ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ أي: ممَّا علَّمك اللَّه تعالىٰ.

○ ومنها: أنَّ العلم النَّافع هو العلم المُرشِد إلىٰ الخير، فكلُّ علمٍ يكون فيه رشدٌ، وهدايةٌ لطرق الخير، وتحذيرٌ عن طريق الشَّرِّ، أو وسيلةٌ لذلك، فإنَّه من العلم النَّافع، وما سوىٰ ذلك فإمَّا أن يكون ضارًّا، أو ليس فيه فائدةٌ؛ لقوله: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾.

○ ومنها: أنَّ من ليس له قوَّةُ الصَّبر علىٰ صُحبة العالم والعلم، وحسنُ الثَّبات علىٰ ذلك، أنَّه يفوته بحسب عدم صبره كثيرٌ من العلم، فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل الصَّبر ولازمه أدرك به كلَّ أمرٍ سعىٰ فيه؛ لقول الخضر -يعتذر من موسىٰ بذكر المانع لموسىٰ في الأخذ عنه-: إنَّه لا يصبر معه.

○ ومنها: أنَّ السَّبب الكبير لحصول الصَّبر إحاطةُ الإنسان علمًا وخبرةً بذلك الأمر الَّذي أُمر بالصَّبر عليه، وإلَّا فالَّذي لا يدريه، أو لا يدري غايتَه، ولا نتيجتَه، ولا فائدتَه وثمرتَه؛ ليس عنده سبب الصَّبر؛ لقوله: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾، فجعل المُوجب لعدم صبره عدم إحاطته خُبرًا بالأمر.

○ ومنها: الأمر بالتَّأنِّي والتَّثبُّت، وعدم المبادرة إلىٰ الحكم علىٰ الشَّيء حتَّىٰ يعرف ما يُراد منه وما هو المقصود.

○ ومنها: تعليقُ الأمور المُستقبليَّة الَّتي من أفعال العباد بالمَشيئة، وأن لا يقول الإنسان للشَّيء: إنِّي فاعلٌ ذلك في المستقبل، إلَّا أن يقول ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

○ ومنها: أنَّ العزم علىٰ فعل الشَّيء ليس بمنزلة فعله، فإنَّ موسىٰ قال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ فوطَّن نفسه علىٰ الصَّبر، ولم يفعل.

○ ومنها: أنَّ المُعلِّم إذا رأىٰ المصلحة في إيزاعه للمُتعلِّم أن يترك الابتداء في السُّؤال عن بعض الأشياء حتَّىٰ يكون المُعلِّم هو الَّذي يوقِفُه عليها، فإنَّ المصلحة تُتَّبع؛ كما إذا كان فهمُه قاصرًا، أو نهاه عن الدَّقيق في سؤال الأشياء الَّتي غيرها أهمُّ منها، أو لا يدركها ذهنُه، أو يسأل سؤالًا لا يتعلَّق في موضع البحث.

○ ومنها: جواز ركوب البحر في غير الحالة الَّتي يُخاف منها.

○ ومنها: أنَّ النَّاسي غيرُ مُؤاخَذٍ بنسيانه، لا في حقِّ اللَّه، ولا في حقوق العباد؛ لقوله: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾.

○ ومنها: أنَّه ينبغي للإنسان أن يأخذ من أخلاق النَّاس ومعاملاتهم العفو منها، وما سمحت به أنفسُهم، ولا ينبغي له أن يُكلِّفهم ما لا يُطيقون، أو يشقَّ عليهم ويُرهقَهم، فإنَّ هذا مَدعاةٌ إلىٰ النُّفور منه والسَّآمة؛ بل يأخذ المُتيسِّر ليتيسَّر له الأمر.

○ ومنها: أنَّ الأمور تجري أحكامُها علىٰ ظاهرها، وتُعلَّق بها الأحكام الدُّنيويَّة في الأموال والدِّماء وغيرها، فإنَّ موسىٰ ﷺ أنكر علىٰ الخضر خرقه السَّفينة،

وقتل الغلام، وأنَّ هذه الأمور ظاهرها أنَّها من المُنكر، وموسىٰ ﷺ لا يسعه السُّكوت عنها في غير هذه الحال الَّتي صحب عليها الخضر، فاستعجل ﷺ وبادر إلىٰ الحكم في حالتها العامَّة، ولم يلتفت إلىٰ هذا العارض الَّذي يوجب عليه الصَّبر وعدم المبادرة إلىٰ الإنكار.

○ ومنها: القاعدة الكبيرة الجليلة، وهو أنَّه يدفع الشَّرَّ الكبير بارتكاب الشَّرِّ الصَّغير، ويراعي أكبر المصلحتين بتفويت أدناهما، فإنَّ قتل الغُلام شرٌّ، ولكنَّ بقاءه حتَّىٰ يفتن أبويه عن دينهما أعظم شرًّا منه، وبقاء الغلام من دون قتل وعصمتُه -وإن كان يُظنُّ أنَّه خيرٌ- فالخير ببقاء دين أبويه، وإيمانهما خيرٌ من ذلك، فلذلك قتله الخضر، وتحت هذه القاعدة من الفروع والفوائد ما لا يدخل تحت الحصر، فتزاحم المصالح والمفاسد كلِّها داخلٌ في هذا.

○ ومنها: القاعدة الكبيرة أيضًا، وهي أنَّ عمل الإنسان في مال غيره إذا كان علىٰ وجه المصلحة وإزالة المفسدة أنَّه يجوز، ولو بلا إذنٍ، حتَّىٰ ولو ترتَّب علىٰ عمله إتلافُ بعض مال الغير؛ كما خرق الخضر السَّفينة لتعيب فتسلم من غصب الملك الظَّالم، فعلىٰ هذا لو وقع حرقٌ أو غرقٌ أو نحوهما في دار إنسانٍ أو ماله، وكان إتلافُ بعض المال، أو هدم بعض الدَّار، فيه سلامةٌ للباقي؛ جاز للإنسان؛ بل شُرِع له ذلك حفظًا لمال الغير، وكذلك لو أراد ظالمٌ أخذ مال الغير، ودفع إليه إنسانٌ بعض المال افتداءً للباقي جاز، ولو من غير إذنٍ.

○ ومنها: أنَّ العمل يجوز في البحر كما يجوز في البرِّ؛ لقوله: ﴿يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ ولم ينكر عليهم عملهم.

○ ومنها: أنَّ المسكين قد يكون له مالٌ لا يبلغ كفايته، ولا يخرج بذلك عن اسم المسكنة؛ لأنَّ اللَّه أخبر أنَّ هؤلاء المساكين لهم سفينةٌ.

○ ومنها: أنَّ القتل من أكبر الذُّنوب؛ لقوله في قتل الغلام: ﴿لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ٧٤﴾.

○ ومنها: أنَّ القتل قصاصًا غير مُنكرٍ؛ لقوله ﴿بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾.

- ومنها: أنَّ العبد الصَّالح يحفظه اللَّه في نفسه، وفي ذرِّيَّته.
- ومنها: أنَّ خدمة الصَّالحين أو من يتعلَّق بهم أفضل من غيرها؛ لأنَّه علَّل استخراج كنزهما، وإقامة جدارهما، أنَّ أباهما صالحٌ.
- ومنها: استعمال الأدب مع اللَّه تعالىٰ في الألفاظ، فإنَّ الخضر أضاف عيب السَّفينة إلىٰ نفسه بقوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، وأمَّا الخير فأضافه إلىٰ اللَّه تعالىٰ لقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾؛ كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾[الشُّعراء]، وقالت الجنُّ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾[الجنّ]، مع أنَّ الكلَّ بقضاء اللَّه وقدره.
- ومنها: أنَّه ينبغي للصَّاحب أن لا يفارق صاحبه في حالةٍ من الأحوال ويترك صحبته حتَّىٰ يُعتبه، ويُعذِر منه؛ كما فعل الخضر مع موسىٰ.
- ومنها: أنَّ موافقة الصَّاحب لصاحبه في غير الأمور المحذورة مَدعاةٌ وسببٌ لبقاء الصُّحبة وتأكُّدها؛ كما أنَّ عدم المُوافقة سببٌ لقطع المُرافقة.
- ومنها: أنَّ هذه القضايا الَّتي أجراها الخضر هي قدرٌ محضٌ أجراها اللَّه وجعلها علىٰ يد هذا العبد الصَّالح؛ ليستدلَّ العباد بذلك علىٰ ألطافه في أقضيته، وأنَّه يُقدِّر علىٰ العبد أمورًا يكرهها جدًّا، وهي صلاح دينه؛ كما في قضيَّة الغلام، أو وهي صلاح دنياه؛ كما في قضيَّة السَّفينة، فأراهم نموذجًا من لطفه وكرمه؛ ليعرفوا ويرضوا غاية الرِّضا بأقداره المكروهة.

[٨٣-٨٨] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾.

كان أهل الكتاب أو المشركون سألوا رسول اللَّه ﷺ عن قصَّة ذي القرنين، فأمره

اللَّـه أن يقـول: ﴿سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ٨٣﴾ فيـه نبأٌ مفيدٌ، وخطـابٌ عجيبٌ، أي: سـأتلوا عليكـم مـن أحوالـه مـا يُتذكَّر فيـه، ويكـون عبـرةً، وأمَّا ما سـوىٰ ذلك مـن أحوالـه، فلم يتلـه عليهم.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: ملَّكـه اللَّـه تعالـىٰ، ومكَّنـه من النُّفوذ فـي أقطار الأرض، وانقيادهـم لـه، ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ٨٤﴾ أي: أعطـاه اللَّه من الأسـباب الموصلة لـه لمـا وصل إليـه ما به يسـتعين علـىٰ قهر البلـدان، وسـهولة الوصول إلـىٰ أقاصي العمـران، وعمل بتلك الأسـباب الَّتي أعطـاه اللَّه إيَّاها، أي: اسـتعملها علىٰ وجهها، فليـس كلُّ مـن عنـده شـيءٌ مـن الأسـباب يسـلُكه، ولا كلُّ أحـدٍ يكـون قـادرًا علىٰ السَّـبب، فـإذا اجتمـع القـدرة علىٰ السَّـبب الحقيقـيِّ والعمـل به حصـل المقصود، وإن عدمـا أو أحدهما لـم يحصل.

وهـذه الأسـباب الَّتـي أعطاه اللَّـه إيَّاها لم يخبرنـا اللَّه ولا رسـوله بها، ولـم تتناقلها الأخبـار علىٰ وجهٍ يفيد العلم، فلهذا لا يسـعنا غير السُّـكوت عنهـا، وعدم الالتفات لمـا يذكـره النَّقلة للإسـرائيليَّات ونحوهـا، ولكنَّـا نعلم بالجملـة أنَّها أسـبابٌ قويَّةٌ كثيـرةٌ، داخليَّـةٌ وخارجيَّـةٌ، بهـا صـار لـه جنـدٌ عظيـمٌ، ذو عَـدَدٍ وعُـدَدٍ ونظـامٍ، وبه تمكَّـن مـن قهـر الأعـداء، ومـن تسـهيل الوصـول إلـىٰ مشـارق الأرض ومغاربها، وأنحائهـا، فأعطـاه اللَّـه مـا بلغ بـه مغرب الشَّـمس، حتَّـىٰ رأىٰ الشَّـمس -في مرأىٰ العيـن- كأنَّهـا تغـرب في عيـنٍ حمئةٍ أي: سـوداءَ، وهـذا هـو المُعتاد لمـن كان بينه وبيـن أفـق الشَّـمس الغربـيِّ مـاءٌ، رآهـا تغرب فـي نفس المـاء وإن كانت فـي غاية الارتفـاع، ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾ أي: عنـد مغربهـا ﴿قَوۡمٗاۗ﴾.

﴿قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦﴾ أي: إمَّـا أن تعذِّبهـم بقتـل، أو ضـربٍ، أو أسـرٍ، ونحـوه، وإمَّـا أن تُحسِـن إليهـم، فخُيِّر بيـن الأمريـن؛ لأنَّ الظَّاهر أنَّهـم كفَّـارٌ أو فسَّـاقٌ، أو فيهـم شـيءٌ مـن ذلك؛ لأنَّهـم لو كانـوا مؤمنين غير فُسَّـاقٍ لـم يُرخَّـص في تعذيبهـم، فكان عنـد ذي القرنين من السِّياسـة الشَّـرعيَّة ما اسـتحقَّ بـه المـدح والثَّنـاء؛ لتوفيـق اللَّـه لـه لذلـك، فقـال: سـأجعلهم قسـمين، ﴿قَالَ أَمَّا مَن

ظَلَمَ﴾ بالكفر ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ أي: تحصل له العقوبتان، عقوبة الدُّنيا وعقوبة الآخرة.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: فله الجنَّة والحالة الحسنة عند اللَّه جزاءً يوم القيامة، ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ أي: وسُنحسِن إليه، ونلطف له بالقول، ونُيسِّر له المعاملة، وهذا يدلُّ علىٰ كونه من الملوك الصَّالحين، الأولياء، العادلين، العالمين، حيث وافق مرضاة اللَّه في معاملة كلِّ أحدٍ بما يليق بحاله.

[٨٩-٩٨] ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾.

أي: لمَّا وصل إلىٰ مغرب الشَّمس كرَّ راجعًا، قاصدًا مطلعها، مُتَّبعًا للأسباب الَّتي أعطاه اللَّه، فوصل إلىٰ مطلع الشَّمس، فـ ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ أي: وجدها تطلع علىٰ أناسٍ ليس لهم سترٌ من الشَّمس، إمَّا لعدم استعدادهم في المساكن، وذلك لزيادة همجيَّتهم، وتوحُّشهم، وعدم تمدُّنهم، وإمَّا لكون الشَّمس دائمةً عندهم، لا تغرب عنهم غروبًا يُذكَرُ؛ كما يوجد ذلك في شرقي أفريقيا الجنوبيِّ، فوصل إلىٰ موضعٍ انقطع عنه علم أهل الأرض فضلًا عن وصولهم إليه إيَّاه بأبدانهم، ومع هذا فكلُّ هذا بتقدير اللَّه له، وعلمه به، ولهذا قال: ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾ أي: أحطنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة، وعلمُنا معه حيثما توجَّه وسار.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾، قال المُفسِّرون: ذهب مُتوجِّهًا من المشرق قاصدًا للشَّمال، فوصل إلىٰ ما بين السَّدين، وهما سدَّان كانا سلاسل

جبال معروفين في ذلك الزَّمان، سدًّا بين يأجوج ومأجوج وبين النَّاس، وجد من دون السَّدَّين ﴿قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣﴾؛ لعُجمة ألسنتهم، واستعجام أذهانهم وقلوبهم، وقد أعطىٰ اللَّه ذا القرنين من الأسباب العلميَّة ما فقه به ألسنة أولئك القوم وفقههم، وراجعهم وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما أمَّتان عظيمتان من بني آدم، فقالوا: ﴿إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك، ﴿فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا﴾ أي: جُعلًا ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤﴾، ودلَّ ذلك علىٰ عدم اقتدارهم بأنفسهم علىٰ بنيان السَّدِّ، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه، فبذلوا له أجرةً ليفعل ذلك، وذكروا له السَّبب الدَّاعي، وهو: إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمعٍ، ولا رغبةٍ في الدُّنيا، ولا تاركًا لإصلاح أحوال الرَّعِيَّة؛ بل كان قصده الإصلاح، فلذلك أجاب طِلبتهم لما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أُجرةً، وشكر ربَّه علىٰ تمكينه واقتداره، فقال لهم: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ﴾ أي: ممَّا تبذلون لي وتعطوني، وإنَّما أطلب منكم أن تعينوني ﴿بِقُوَّةٍ﴾ منكم بأيديكم ﴿أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥﴾ أي: مانعًا من عبورهم عليكم.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ﴾ أي: قِطَعَ الحديد، فأعطوه ذلك، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾ أي: الجبلين اللَّذين بُني بينهما السَّدُّ ﴿قَالَ ٱنفُخُواْۖ﴾ النَّار أي: أوقدوها إيقادًا عظيمًا، واستعملوا لها المنافيخ لتشتدَّ، فتُذيب النُّحاس، فلمَّا ذاب النُّحاس الَّذي يريد أن يُلصِقه بين زُبُرِ الحديد ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦﴾ أي: نحاسًا مُذابًا، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السَّدُّ استحكامًا هائلًا، وامتنع به من وراءه من النَّاس من ضرر يأجوج ومأجوج.

﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾ أي: فما لهم استطاعةٌ ولا قدرةٌ علىٰ الصُّعود عليه لارتفاعه، ولا علىٰ نقبه لإحكامه وقوَّته.

فلمَّا فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النِّعمة إلىٰ موليها، وقال: ﴿هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ﴾ أي: من فضله وإحسانه عليَّ، وهذه حال الخلفاء الصَّالحين،

إذا منَّ اللَّه عليهم بالنِّعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترافهم بنعمة اللَّه؛ كما قال سليمان ﷺ لمَّا حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم، ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ﴾[النَّمل:٤٠]، بخلاف أهل التَّجبُّر والتَّكبُّر والعُلوِّ في الأرض، فإنَّ النِّعم الكبار تزيدهم أشرًا وبطرًا؛ كما قال قارون لمَّا آتاه اللَّه ﴿مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي﴾[القصص:٧٦]، ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾[القصص:٧٨].

وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي﴾ أي: لخروج يأجوج ومأجوج ﴿جَعَلَهُۥ﴾ أي: ذلك السَّدَّ المُحكَم المُتقَن ﴿دَكَّآءَۖ﴾ أي: دكَّه فانهدم، واستوىٰ هو والأرض، ﴿وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨﴾.

[٩٩-١٠١] ﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ١٠٠ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ١٠١﴾.

يحتمل أنَّ الضَّمير يعود إلىٰ يأجوج ومأجوج، وأنَّهم إذا خرجوا علىٰ النَّاس -من كثرتهم واستيعابهم للأرض كلِّها- يموج بعضهم ببعضٍ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾[الأنبياء].

ويحتمل أنَّ الضَّمير يعود إلىٰ الخلائق يوم القيامة، وأنَّهم يجتمعون فيه فيكثرون ويموج بعضهم ببعضٍ من الأهوال والزَّلازل العظام، بدليل قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ١٠٠ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ١٠١﴾ أي: إذا نفخ إسرافيل في الصُّور أعاد اللَّه الأرواح إلىٰ الأجساد، ثمَّ حشرهم وجمعهم لمَوقفِ القيامة، الأوَّلين منهم والآخِرين، والكافرين والمؤمنين؛ ليُسْألوا ويُحاسَبوا، ويُجزَون بأعمالهم، فأمَّا الكافرون -علىٰ اختلافهم- فإنَّ جهنَّم جزاؤُهم خالدين فيها أبدًا.

ولهذا قال: ﴿وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ١٠٠﴾؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ٩١﴾[الشُّعراء] أي: عُرِضت لهم؛ لتكون مأواهم ومنزلهم، وليتمتَّعوا بأغلالها وسعيرها، وحميمها وزمهريرها، وليذوقوا من العقاب، ما تبكم له

القلـوب، وتصـمُّ الآذان، وهـذا آثـار أعمالهـم، وجـزاء أفعالهـم، فإنَّهـم فـي الدُّنيا ﴿كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي﴾ أي: مُعرضيـن عـن الذِّكر الحكيـم، والقرآن الكريم، ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾[فصِّلـت:٥]، وفـي أعينهـم أغطيـةٌ تمنعهـم مـن رؤية آيـات اللَّـه النَّافعـة؛ كما قـال تعالـىٰ: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ﴾[البقـرة:٧].
﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ١٠١﴾ أي: لا يقـدرون علـىٰ سـمع آيات اللَّـه المُوصِلَة إلىٰ الإيمـان، لبُغضهـم القرآن والرَّسـول، فـإنَّ المُبغِض لا يسـتطيعُ أن يُلقي سـمعه إلىٰ كلام مـن أبغضـه، فـإذا انحجبـت عنهـم طـرق العلـم والخيـر فليس لهم سـمعٌ ولا بصـرٌ ولا عقـلٌ نافـعٌ، فقـد كفـروا باللَّه وجحـدوا آياتـه، وكذَّبوا رسـله، فاسـتحقُّوا جهنَّـم وسـاءت مصيرًا.

[١٠٢] ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ١٠٢﴾.

وهـذا برهـانٌ وبيـانٌ لبطـلان دعـوىٰ المشـركين الكافريـن، الَّذيـن اتَّخـذوا بعـض الأنبيـاء والأوليـاء شـركاء للَّـه يعبدونهـم، ويزعمـون أنَّهـم يكونـون لهـم أوليـاء يُنجونهـم مـن عـذاب اللَّـه، ويُنيلونهـم ثوابـه، وهـم قـد كفـروا باللَّـه وبرسـله.
يقـول اللَّـه لهـم علـىٰ وجـه الاسـتفهام والإنـكار المُتقـرِّر بطلانُـه فـي العقـول: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ﴾ أي: لا يكـون ذلـك ولا يوالـي ولـيَّ اللَّـه مُعاديـًا للَّه أبـدًا، فإنَّ الأوليـاء مُوافقـون للَّه فـي محبَّته ورضاه، وسـخطه وبغضـه، فيكون علىٰ هـذا المعنىٰ مُشـابهًا لقوله تعالـىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ﴾[سـبأ]، فمـن زعـم أنَّـه يتَّخـذ ولـيَّ اللَّه وليًّـا له وهـو مُعـادٍ للَّه فهـو كاذبٌ.
ويحتمـل -وهـو الظَّاهـر- أنَّ المعنىٰ: أفحسـب الكفَّـار باللَّـه المُنابذون لرُسـلِه أن يتَّخـذوا مـن دون اللَّـه أوليـاء ينصرونهـم وينفعونهـم مـن دون اللَّه ويدفعـون عنهم الأذىٰ؟ هـذا حسـبانٌ باطـلٌ وظـنٌّ فاسـدٌ، فـإنَّ جميـع المخلوقيـن ليـس بيدهم من النَّفـع والضُّـرِّ شـيءٌ، ويكون هـذا كقولـه تعالـىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا

يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾[الإسراء]، ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾[الزُّخرف]، ونحو ذلك من الآيات الَّتي يذكر اللَّه فيها أنَّ المُتَّخذ من دونه وليًّا ينصره ويواليه ضالٌّ، خائبُ الرَّجاء غير نائلٍ لبعض مَقصودِه.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾ أي ضيافةً وقِرًى، فبئس النُّزل نزلُهم، وبئست جهنَّم ضيافتهم.

[١٠٣-١٠٦] ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾.

أي: قل يا محمَّد للنَّاس -علىٰ وجه التَّحذير والإنذار-: هل أخبركم بأخسر النَّاس أعمالًا علىٰ الإطلاق؟ ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: بطل واضمحلَّ كلُّ ما عملوه من عمل، يحسبون أنَّهم مُحسنون في صنعه، فكيف بأعمالهم الَّتي يعلمون أنَّها باطلةٌ، وأنَّها مُحادَّةٌ للَّه ورسله ومُعاداةٌ؟ فمن هم هؤلاء الَّذين خسرت أعمالهم، فـ ﴿خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزُّمر]؟

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ﴾ أي: جحدوا الآيات القرآنيَّة والآيات العيانيَّة الدَّالَّة علىٰ وجوب الإيمان به، وملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، ﴿فَحَبِطَتْ﴾ بسبب ذلك ﴿أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾؛ لأنَّ الوزن فائدته مقابلة الحسنات بالسَّيِّئات، والنَّظر في الرَّاجح منها والمرجوح، وهؤلاء لا حسنات لهم؛ لعدم شرطها وهو الإيمان؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾[طه]، لكن تُعدُّ أعمالهم وتُحصىٰ، ويُقرَّرون بها، ويُخزَون بها علىٰ رءوس الأشهاد، ثمَّ يُعذَّبون عليها، ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ﴾ أي: حبوط أعمالهم، وأنَّه لا يُقام لهم يوم القيامة ﴿وَزْنًا﴾؛ لحقارتهم وخسَّتهم بكفرهم بآيات اللَّه، واتِّخاذهم آياته ورسله هزوًا يستهزئون بها، ويسخرون منها، مع أنَّ الواجب في آيات اللَّه ورسله الإيمان

التَّـامُّ بهـا، والتَّعظيـم لها، والقيام بهـا أتمَّ القيام، وهؤلاء عكسـوا القضيَّـة، فانعكس أمرهـم، وتعسـوا، وانتكسـوا فـي العذاب.

ولمَّا بيَّن مآل الكافرين وأعمالهم، بيَّن أعمال المؤمنين ومآلهم فقال:

[١٠٧-١٠٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾﴾.

أي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بقلوبهـم ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بجوارحهـم، وشـمل هذا الوصف جميـع الدِّيـن، عقائده وأعمالـه، أصولـه وفروعه الظَّاهـرة والباطنة، فهـؤلاء -علىٰ اختـلاف طبقاتهم مـن الإيمان والعمـل الصَّالـح- ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ﴾، يحتمل أنَّ المُراد بجنَّـات الفردوس:

- أعلـىٰ الجنَّـة وأوسـطها وأفضلهـا، وأنَّ هـذا الثَّـواب لمـن كمـل فيـه الإيمـان والعمـل الصَّالـح، والأنبيـاء والمُقرَّبـون.
- ويحتمـل أن يُـراد بهـا جميع منازل الجنان، فيشـمل هـذا الثَّواب جميـع طبقات أهـل الإيمـان، مـن المُقرَّبيـن، والأبـرار، والمقتصديـن، كلٌّ بحسـب حالـه، وهـذا أولـىٰ المعنييـن لعمومه، ولذكـر الجنَّة بلفـظ الجمع المُضاف إلىٰ الفـردوس، ولأنَّ الفـردوس يُطلـق علـىٰ البُسـتان المُحتوي علـىٰ الكرم، أو الأشـجار المُلتفَّـة، وهذا صـادقٌ علىٰ جميـع الجنَّة.

فجنَّـة الفـردوس نُـزُلٌ وضيافةٌ لأهـل الإيمـان والعمل الصَّالـح، وأيُّ: ضيافـةٍ أجلُّ وأكبـر وأعظـم مـن هـذه الضِّيافـة المُحتويـة علـىٰ كلِّ نعيـمٍ للقلـوب، والأرواح، والأبـدان، وفيهـا ما تشـتهيه الأنفـس وتلذُّ الأعيـن، من المنـازل الأنيقـة، والرِّياض النَّاضـرة، والأشـجار المُثمـرة، والطُّيـور المُغـرِّدة المشـجية، والمـآكل اللَّذيـذة، والمشـارب الشَّـهيَّة، والنِّسـاء الحسـان، والخـدم والولـدان، والأنهـار السَّـارحة، والمناظـر الرَّائقـة، والجمـال الحسِّـيِّ والمعنـويِّ، والنِّعمـة الدَّائمـة، وأعلـىٰ ذلك وأفضلـه وأجلُّـه التَّنعُّـم بالقـرب مـن الرَّحمـن، ونيـل رضـاه الَّـذي هـو أكبـر نعيم الجنـان، والتَّمتُّـع برؤيـة وجهـه الكريم، وسـماع كلام الـرَّؤوف الرَّحيـم، فللَّه تلك

الضِّيافة، ما أجلَّها وأجملَها، وأدومَها وأكملَها! وهي أعظم من أن يحيط بها وصف أحدٍ من الخلائق، أو تخطر علىٰ القلوب، فلو علم العباد بعض ذلك النَّعيم علمًا حقيقيًّا يصل إلىٰ قلوبهم لطارت إليها قلوبهم بالأشواق، ولتقطَّعت أرواحهم من ألم الفراق، ولساروا إليها زَرافات ووِحدانًا، ولم يُؤثِروا عليها دنيا فانيةً، ولذَّاتٍ مُنغَّصَةً مُتلاشيةً، ولم يُفوِّتوا أوقاتًا تذهب ضائعةً خاسرةً، يُقابل كلَّ لحظةٍ منها من النَّعيم من الحِقَبِ آلافٌ مُؤلَّفةٌ، ولكنَّ الغفلة شملت، والإيمان ضعف، والعلم قلَّ، والإرادة نفذت، فكان ما كان، فلا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه العليِّ العظيم.

وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ هذا هو تمام النَّعيم، أنَّ فيها النَّعيم الكامل، ومن تمامه أنَّه لا ينقطع، ﴿لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾ أي: تحوُّلًا ولا انتقالًا؛ لأنَّهم لا يرون إلَّا ما يعجبهم ويبهجهم، ويسرُّهم ويُفرِحهم، ولا يرون نعيمًا فوق ما هم فيه.

[١٠٩] ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾.

أي: قل لهم مُخبِرًا عن عظمة الباري، وسعة صفاته، وأنَّها لا يحيط العباد بشيءٍ منها: ﴿لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ﴾ أي: هذه الأبحر الموجودة في العالم ﴿مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ أي: وأشجار الدُّنيا من أوَّلها إلىٰ آخرها -من أشجار البلدان والبراري والبحار- أقلامٌ، ﴿لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ﴾ وتكسَّرت الأقلام ﴿قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾، وهذا شيءٌ عظيمٌ لا يحيط به أحدٌ.

وفي الآية الأخرىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٧﴾[لقمان]، وهذا من باب تقريب المعنىٰ إلىٰ الأذهان؛ لأنَّ هذه الأشياء مخلوقةٌ، وجميع المخلوقات مُنقضيةٌ مُنتهيةٌ، وأمَّا كلام اللَّه فإنَّه من جملة صفاته، وصفاته غير مخلوقةٍ، ولا لها حدٌّ ولا مُنتهًىٰ، فأيُّ سعةٍ وعظمةٍ تصوَّرتها القلوب فاللَّه فوق ذلك، وهكذا سائر صفات اللَّه تعالىٰ؛ كعلمه، وحكمته، وقدرته، ورحمته، فلو جُمع علم

الخلائق من الأوَّلين والآخرين، أهل السَّماوات وأهل الأرض، لكان بالنِّسبة إلىٰ علم العظيم أقلَّ من نسبة عصفورٍ وقع علىٰ حافَّة البحر، فأخذ بمنقاره من البحر، بالنِّسبة للبحر وعظمته، ذلك بأنَّ اللَّه له الصِّفات العظيمة الواسعة الكاملة، وأنَّ إلىٰ ربِّك المنتهىٰ.

[١١٠] ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾.

أي: ﴿قُلْ﴾ يا محمَّد للكفَّار وغيرهم: ﴿إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: لستث بإلهٍ، ولا لي شركةٌ في الملك، ولا علمٌ بالغيب، ولا عندي خزائن اللَّه، ﴿إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ عبدٌ من عبيد ربِّي، ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي: فضلت عليكم بالوحي الَّذي يوحيه اللَّه إليَّ، الَّذي أجلُّه الإخبار لكم: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، أي: لا شريك له، ولا أحد يستحقُّ من العبادة مثقال ذرَّةٍ غيره، وأدعوكم إلىٰ العمل الَّذي يُقرِّبكم منه، ويُنيلكم ثوابَه، ويدفع عنكم عقابَه، ولهذا قال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهو المُوافق لشرع اللَّه، من واجبٍ ومُستحبٍّ، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ أي: لا يُرائي بعمله؛ بل يعمله خالصًا لوجه اللَّه تعالىٰ، فهذا الَّذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الَّذي ينال ما يرجو ويطلب، وأمَّا من عدا ذلك فإنَّه خاسرٌ في دنياه وأخراه، وقد فاته القرب من مولاه، ونيل رضاه.

آخر تفسير سورة الكهف، ولله الحمدُ.

فَوَائِدُ وَتَأَمُّلَاتٌ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ:

❍ سورة الكهف من السُّور المكِّيَّة الَّتي تُعنىٰ بتقرير أصول الإيمان: توحيد الله، والإيمان باليوم الآخر، والاعتصام بالوحي، وقد افتُتحت بالحمد لله علىٰ إنزال القرآن، ممَّا يدلُّ علىٰ أنَّ أعظم نعمةٍ علىٰ العباد هي نعمة الهداية بالوحي.

❍ سورة الكهف هي إحدىٰ السُّور الَّتي افتُتحت بالحمد لله، وهي خمس سورٍ: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأٌ، وفاطرٌ، وافتتاحها بالحمد يدلُّ علىٰ كمال الله عَزَّوَجَلَّ وكمال شرعه، وأنَّ هذا القرآن مُستقيمٌ لا عِوَجَ فيه.

❍ ثبت في صحيح السُّنَّة أنَّ لهذه السُّورة فضلًا عظيمًا، فمن ذلك:

- قول النَّبيِّ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ**» أخرجه الحاكم والبيهقيُّ، وصحَّحه الألبانيُّ.
- قول النَّبيِّ ﷺ: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**» أخرجه مسلمٌ، وهذا يدلُّ علىٰ ما تحمله السُّورة من معانٍ تعصم المسلم من الفتن.

❍ القصص الواردة في سورة الكهف تدور حول أنواع الفتن الَّتي تعرض للإنسان في حياته، مع بيان طريق النَّجاة منها، ومن ذلك:

- **فتنة الدِّين (قصَّة أصحاب الكهف)**: هؤلاء الفتية آمنوا بربِّهم، وفرُّوا بدينهم من قومهم، فآواهم الله إلىٰ الكهف، وحفظهم آيةً للنَّاس، وفيها من الفوائد والعبر: أهمِّيَّة الثَّبات علىٰ الإيمان ولو خالف الإنسان قومه، وفضل صحبة الصَّالحين، وأنَّ من ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه، وأنَّ اللُّجوء إلىٰ الله سبب النَّجاة... وغير ذلك، وقد أرشد الله إلىٰ طريق العصمة بقوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾، فالصُّحبة الصَّالحة من أعظم أسباب الثَّبات.

- **فتنة المال (قصّة صاحب الجنّتين)**: أعطاه الله مالًا كثيرًا فاغترَّ به، ونسي المُنعِم، وأنكر البعث، فكانت عاقبته الخسران المُبين، وفيها من الفوائد والعبر: أنَّ المال قد يكون سببًا لطغيان الإنسان، وأنَّ شكر النِّعمة يحفظها، وأنَّ الدُّنيا زائلةٌ مهما عظمت، والنَّجاة من هذه الفتنة تكون بمعرفة حقيقة الدُّنيا وتذكُّر الآخرة، قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾.
- **فتنة العلم (قصّة موسى والخضر)**: في هذه القصَّة بيان أنَّ العلم فضلٌ من الله يؤتيه من يشاء، وفيها من الفوائد والعبر: وجوب التَّواضع للعلم، وأنَّ الإنسان مهما بلغ علمه ففوقه من هو أعلم منه، وأنَّ الصَّبر هو طريق تحصيل العلم، وأنَّ أقدار الله قد تخفىٰ حكمتها علىٰ النَّاس، وقد قال موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩﴾، وفيها تأديبٌ لطالب العلم.
- **فتنة السُّلطة (قصّة ذي القرنين)**: ملكٌ صالحٌ مكَّن الله له في الأرض، فاستعمل ملكه في الإصلاح ونصرة المظلومين، وفيها من الفوائد والعبر: أنَّ السُّلطة ابتلاءٌ عظيمٌ، وأنَّ العدل أساس الملك، وأنَّ القوَّة إذا اجتمعت مع الإيمان كانت رحمةً للنَّاس، وأنَّ القائد الصَّالح ينسب الفضل لله، قال ذو القرنين: ﴿هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ﴾، ولم يغترَّ بمُلكِه.

❍ ورد في السُّنَّة أنَّ حفظ أوائل سورة الكهف يعصم من فتنة المسيح الدَّجَّال، قال ﷺ: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**» أخرجه مسلمٌ، ومناسبة ذلك أنَّ المسيح الدَّجَّال يأتي بالفتن الأربع نفسها: فتنة الدِّين، والمال، والعلم، والسُّلطة، فمن فهم هذه السُّورة وتدبَّرها كان أبصر بالحقِّ عند ظهور الفتن.

❍ افتُتحت السُّورة بذكر الكتاب -أي: القرآن-، وخُتِمت ببيان أنَّ كلمات الله لا تنفَدُ؛ إشارةً إلىٰ أنَّ النَّجاة من الفتن تكون بالاعتصام بالوحي.

❍ النَّاظـر في ثنايـا سـورة الكهـف يجـد أنَّ فيها كثـرة الحركة، من مثـل: ﴿فَأْوُۥٓاْ﴾، و﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ﴾، و﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ﴾، و﴿جَاوَزَا﴾، و﴿فَٱرۡتَدَّا﴾، و﴿فَٱنطَلَقَا﴾، و﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾... وغيـر ذلـك، وفـي ذلـك إشـارةٌ إلـىٰ أنَّ المؤمن يسـعىٰ فـي طاعة اللَّـه ولا يستسـلم للواقع الفاسـد.

❍ فـي ثنايـا هـذه السُّـورة كذلـك إشـاراتٌ واضحـةٌ إلـىٰ أهمِّيَّـة الدَّعوة إلـىٰ اللَّه بمختلـف الوسـائل، ففيها: فتيـةٌ يدعون قومهم إلـىٰ الإيمان، وصاحبـق صالحٌ يعظ صاحبـه ويُحـذِّره الطُّغيـان، ومُعلِّـمٌ يُربِّـي تلميـذه ويُبيِّـن له حكمـة اللَّه فـي خلقه، وملـكٌ يقيم العـدل فـي الأرض... فالدَّعـوة إلىٰ اللَّـه مسـؤوليَّة الجميع.

❍ سـورة الكهـف مليئـةٌ بذكـر أمـورٍ غيبيَّـةٍ لا يعلمهـا إلَّا الله ومـن شـاء أن يُطلعه عليهـا مـن عبـاده؛ كمـدَّة لُبث أهـل الكهـف، ومـا كان بيـن موسـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ والخضر مـن أحـداثٍ، ونبـأ سـدِّ يأجـوج ومأجـوج، وكلُّ ذلـك يُربِّي المسـلم علىٰ التَّسـليم التَّـامِّ لحكمـة الله عَزَّوَجَلَّ.

❍ اسـم السُّـورة مأخوذٌ من قصَّـة أصحاب الكهف، وفيه إشـارةٌ إلـىٰ معنًىٰ عظيمٍ، وهـو أنَّ النَّجـاة قـد تكـون في مـكانٍ يظنُّـه النَّاس ضعفًـا أو عُزلـةً، أو يخافـون ما فيه مـن الرُّعب والوحشـة، لكـنَّ حقيقة الأمـر أنَّ فيه حفظًـا للدِّين، قـال تعالىٰ: ﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾، فالعـبرة ليسـت بالمظاهـر، وإنَّمـا بتوفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمـن اتَّبـع أوامره واجتنـب نواهيه.

❍ اختتمـت السُّـورة بقاعـدةٍ عظيمةٍ للنَّجـاة من الفتـن: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾﴾، فالعمـل المقبـول يقـوم علـىٰ أصليـن: الإخـلاص للَّـه عَزَّوَجَلَّ، والمتابعـة لرسـول اللَّـه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبهمـا تكـون النَّجاة فـي الدُّنيا والآخرة.

حَدِيثُ قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْخَضِرِ:

أخرج البخاريُّ ومسلمٌ عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَامَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ! قَالَ: فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَىٰ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَىٰ: أَيْ رَبِّ؛ كَيْفَ لِي بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، فَانْطَلَقَ، وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، فَحَمَلَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ.

حَتَّىٰ أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَقَدَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفَتَاهُ، فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ حَتَّىٰ خَرَجَ مِنَ الْمِكْتَلِ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، قَالَ: وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْمَاءِ حَتَّىٰ كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَىٰ وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتَهُمَا، وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَىٰ أَنْ يُخْبِرَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِفَتَاهُ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾، قَالَ: وَلَمْ يَنْصَبْ حَتَّىٰ جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ! ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾، قَالَ مُوسَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾، قَالَ: يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّىٰ أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَأَىٰ رَجُلًا مُسَجًّى عَلَيْهِ بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَىٰ، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: أَنَّىٰ بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَىٰ، قَالَ: مُوسَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكَ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ.

قَالَ لَهُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾، قَالَ لَهُ الْخَضِرُ: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾، قَالَ: نَعَمْ.

فَانْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَىٰ يَمْشِيَانِ عَلَىٰ سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمَاهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَىٰ لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَىٰ سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾.

ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَىٰ السَّاحِلِ إِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ مُوسَىٰ: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾؟ قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَىٰ، ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾، يَقُولُ: مَائِلٌ، قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَقَامَهُ، قَالَ لَهُ مُوسَىٰ: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُونَا وَلَمْ يُطْعِمُونَا، ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَىٰ، لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبَرَ حَتَّىٰ يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمَا».

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَانَتِ الْأُولَىٰ مِنْ مُوسَىٰ نِسْيَانًا، قَالَ: وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّىٰ وَقَعَ عَلَىٰ حَرْفِ السَّفِينَةِ، ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ».

اخْتِبَارٌ فِي تفسِيرِ سُورَةِ الْكَهْفِ:

[١] سورة الكهف سورةٌ مكِّيَّةٌ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٢] السُّور الَّتي افتُتحت بالحمد خمس سورٍ في القرآن: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٣] ذكرت سورة الكهف أربع قصصٍ رئيسةٍ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٤] قصص السُّورة الكهف تدور حول أنواع الفتن الَّتي يتعرَّض لها الإنسان: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٥] المُحرِّك الرَّئيس للفتن عند النَّاس هو تزيين الشَّيطان لها: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٦] ورد في السُّنَّة أنَّ من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له نورٌ إلىٰ الجمعة الأخرىٰ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٧] ابتدأت السُّورة بذكر القرآن وخُتِمَت ببيان عظمة كلمات الله: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٨] الحركة في أحداث سورة الكهف قليلةٌ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٩] من مقاصد السُّورة بيان الإيمان بالغيب والتَّسليم لله تعالىٰ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٠] تجب قراءة سورة الكهف يوم الجمعة: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١١] الرَّاجح أنَّ أصحاب الكهف كانوا سبعةً وثامنهم كلبهم: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٢] القرآن الكريم يجمع بين الإنذار والبشارة: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٣] التَّحلِّي بالذَّهب في الجنَّة خاصٌّ بالنِّساء دون الرِّجال: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٤] الجنَّة والنَّار مخلوقتان لا تفنيان ولا تبيدان: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٥] الحرص علىٰ الآخرة يمنع من الانتفاع بطيِّبات الدُّنيا: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٦] يجوز الدُّعاء علىٰ الظَّالم بزوال النِّعمة عنه إذا كانت سببًا في طغيانه: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٧] سورة الكهف سورةٌ: ❍ مكِّيَّةٌ. ❍ مدنيَّةٌ. ❍ مكِّيَّةٌ مدنيَّةٌ.
[١٨] عدد السُّور الَّتي افتُتحت بالحمد لله في القرآن: ❍ ٣. ❍ ٤. ❍ ٥.
[١٩] عدد القصص الرَّئيسة المذكورة في سورة الكهف: ❍ ٣. ❍ ٤. ❍ ٥.
[٢٠] من فضائل سورة الكهف: ❍ العصمة من فتنة الدَّجَّال. ❍ استحباب قراءتها يوم الجمعة. ❍ جميع ما سبق.

[٢١] المقصود بالعبد في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: ❍ محمَّدٌ ﷺ. ❍ جميع الرُّسل. ❍ كلُّ مُكلَّفٍ.

[٢٢] المقصود بقوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾: ❍ أمامهم. ❍ خلفهم. ❍ حولهم.

[٢٣] المقصود بالظَّنِّ في قوله تعالىٰ: ﴿فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾: ❍ الشَّكُّ. ❍ التَّردُّد. ❍ اليقين.

[٢٤] المقصود بالسَّمع في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾: ❍ سمع الحاسَّة. ❍ سمع الحُجَّة. ❍ سمع الانتفاع.

[٢٥] المقصود بالظُّلم في قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾: ❍ الكفر. ❍ الجور. ❍ المعصية.

[٢٦] المُراد بالكتاب في قوله تعالىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ﴾: ❍ القرآن الكريم. ❍ اللَّوح المحفوظ. ❍ كتاب الأعمال.

[٢٧] السَّفر المقصود في قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾: ❍ من بداية خروجهما. ❍ قبل مجمع البحرين. ❍ بعد مجمع البحرين.

[٢٨] المقصود بقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾: ❍ العلماء. ❍ الصَّالحون. ❍ أصحاب السُّلطان.

[٢٩] يأجوج ومأجوج من نسل: ❍ آدم عليه السلام. ❍ إبليس. ❍ خلقٍ آخرَ.

[٣٠] سبب لجوء الفتية إلىٰ الكهف: ❍ الفرار بدينهم. ❍ العجز عن إصلاح قومهم. ❍ جميع ما سبق.

[٣١] ذُكر في سورة الكهف من الشَّخصيَّات: ❍ الخَضِرُ. ❍ ذو القرنين. ❍ جميع ما سبق.

[٣٢] عدد المرَّات الَّتي ذُكِر فيها الكهف في السُّورة: ❍ ٢. ❍ ٣. ❍ ٤.

[٣٣] الحركة في أحداث سورة الكهف: ❍ قليلةٌ. ❍ كثيرةٌ. ❍ مُتساويةٌ.

[٣٤] ترك العمل يوم الجمعة بحجَّة تعظيم اليوم: ❍ مشروعٌ. ❍ غير مشروعٍ.

[٣٥] سُمِّيت سورة الكهف بهذا الاسم لأنَّها تشير إلىٰ: ❍ العصمة من الفتن

باللُّجوء إلىٰ الله. ❍ كهف الدَّعوة. ❍ جميع ما سبق.

[٣٦] الَّذين قالوا: إنَّ لله ولدًا هم: ❍ مشركو العرب. ❍ اليهود. ❍ النَّصارىٰ.
❍ جميع ما سبق.

[٣٧] اربط بين السُّورة وبدايتها:

الفاتحة	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾.
الأنعام	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾.
الكهف	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾.
سبأ	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ﴾.
فاطر	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

[٣٨] اربط بين القصَّة والفتنة:

أهل الكهف	فتنة المال
صاحب الجنَّتين	فتنة السُّلطة والقوَّة
موسىٰ والخضر	فتنة الدِّين
ذو القرنين	فتنة العلم

[٣٩] أاربط بين الفتنة وطريق النَّجاة منها في السُّورة:

فتنة الدِّين	الصُّحبة الصَّالحة والصَّبر علىٰ الطَّاعة
فتنة المال	معرفة حقيقة الدُّنيا وتذكُّر الآخرة
فتنة العلم	التَّواضع وعدم الاغترار بالعلم
فتنة السُّلطة والقوَّة	الإخلاص لله والعدل
جميع الفتن	العمل الصَّالح وإخلاص العبادة لله

[٤٠] اربط بين نوع الدَّعوة والدَّاعي والمَدعُوِّ في السُّورة:

الفتية المؤمنون	موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ تعليمًا وإرشادًا
صاحب الجنَّة المؤمن	قومه، والضُّعفاء الَّذين استنصروه
الخضر	المَلك، وقومُهم
ذو القرنين	صاحب الجنَّتين الَّذي كفر

رَوابِطُ قَنَواتِ مَعْهَدِ السُّنَّةِ:

مَوقِعُ مَعهَدُ السُّنَّةِ:

رابِطُ الفيس بوك:

رابِطُ التِّلجرام:

رابِطُ الانستغرام:

رابِطُ التويتر (X):

رابِطُ الواتساب:

قَناةُ اليوتوب:

رابِطُ تَحميلِ الكُتُبِ: